د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سرى جدًّا !!

روايات مصرية للجيب

151

بلا وَعْى



ملف المستقبل

151

بلا وَعْى

• المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

151

الثمن فى مصر ٣٠٠ قرشًا
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



بلا وَعْى

(نور) يرقد فى غيبوبة عميقة فى المستشفى العسكرى، ولكن عقله يعمل بكل الوعى ..

ويضرب بكل القوة .. وكل القسوة .. وكل العنف ..

ولا أحد يدرى كيف يمكن أن يجمع إنسان بين الوعى .. واللاوعى ..

اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع فريق (نور) .. من أجل الأرض .



القصة القادمة : (الفيروس)

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٦ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٨٢٧٠٠٩

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وَفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدَم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ اتصـــال ..

سطع البرق فى قوة ، فى تلك الليلة من ليالى الشتاء القارصة ، وانعكس ضوؤه على جسم (س ـ ١٨) ، الذى يقف ثابتًا جامدًا ، كتمثال من الصلب ، أمام حجرة العناية المركَّزة ، التى يرقد فيها (نور) ، غائبًا عن الوعى ، بعد صراعه العنيف مع ذلك المسخ مزدوج المخ ، الذى كاد يقضى على الفريق ، وعلى كوكب الأرض كله ذات يوم(*) ..

ومع هزيم الرعد ، الذى أعقب سطوع البرق ، انتفض جسد طبيب قسم العناية المركَّزة ، واتسعت عيناه على نحو مخيف ، وهو يحدّق فى الآلى الصامت ، قبل أن يقول لرفيق سهرته ، فى صوت حمل ارتجافته .

ـ هل سيبقى هذا الشىء هنا إلى الأبد ؟!

تطلَّع رفيقه بدوره إلى وجه (س ـ ١٨) الأخضر ، وعينيه الحمراوين بلون الدم ، وملامحه القاسية الجامدة ، وغمغم فى خفوت ، وكأنما يخشى أن يسمعه :

ـ رجال الأمن أنفسهم لا يجرءون على طرح هذا السؤال ،

(*) راجع قصة (آخر العمالقة) .. المغامرة رقم (١٥٠) .

وإدارة المستشفى تقول : إنه يحمى سيّده (نور) ، حتى يستعيد وعيه .

أطلق الأوّل زفرة عصبية ، وهو يلقى نظرة أخرى على (س ــ ١٨) ، قبل أن يدير عينيه إلى الشاشة الكبيرة ، التى حملت منحنيات المتابعة المستمرة ، لكل المؤشرات الحيوية لـ (نور) ، ويغمغم :

ـ لا أحد يمكنه أن يعلم متى سيحدث هذا .. كل شىء يشير إلى أن حالة المقدّم (نور) مستقرة وثابتة ، منذ تم نقله إلى هنا .. ولو أردت رأيى الشخصى ، فطوال سنوات عملى كطبيب ، فى وحدات العناية المركّزة ، لم أشهد حالة واحدة ، استعادت وعيها ، بعد غيبوبة عميقة كهذه .

تجاوز الثانى ببصره (س ــ ١٨) ؟ ليلقى نظرة على جسد (نور) نفسه ، ثم تمتم فى توتر :

ـ ولكنهم يقولون : إنه قد فعلها من قبل(*) ..

لوّح الأوّل بيده ، قائلاً :

ـ هذا يقلّل من احتمالات عودته أكثر ؛ فالمصادفات العجيبة كهذه ، لا يمكن أن تحدث مرتين ، فى جيل واحد .

(★) راجع قصة (الكابوس) .. المغامرة رقم (٦١) .

هزّ الثانى كتفيه ، مغمغمًا :

ـ من يدرى ؟!

انعقد حاجبا الأوّل ، وهو يقول فى صرامة :

ـ العلم يدرى .

تطلّع إليه الثانى لحظة ، ثم نقل بصره إلى (نور) ، وإلى (س ـ ١٨) ، قبل أن يتمتم :

ـ ربمـــا .

لم يكد ينطق كلمته هذه ، حتى وثب المنحنى ، الخاص بإشارات مخ (نور) وثبة مباغتة ، عاد بعدها إلى مساره الطبيعى ..

وبكل انفعال الدنيا ، هبّ الثانى من مقعده ، وأشار إلى شاشة الرصد ، هاتفًا :

ـ هل رأيت هذا ؟!

اتسعت عينا الأوّل ، فى توتر شديد ، وقفزت أصابعه تضغط أزرار الكمبيوتر ، لاستعادة المنحنيات ، قبل أن يحدّق فيها بدهشة عارمة مغمغمًا :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابه الثانى فى انفعال ، وهو يلتقط جهاز اتصال خاص :

ـ عقله يتلقّى اتصالاً ما .. هذا ما تعنيه هذه القفزة .

ردّد الأوّل ذاهلاً :

ـ اتصال ؟! مستحيل !

ثم استدار إلى الثانى ، مستطردًا فى حدة :

ـ ماذا تفعل بالضبط ؟!

أجابه الثانى ، وهو يضغط أزرار جهاز الاتصال :

ـ إنها الأوامر .. لابد وأن نجرى اتصالاً فوريًّا بالمخابرات العلمية ، عند أوّل لمحة غير مألوفة ، فى حالته هذه .

تضاعفت حدة الأوّل ، وهو يقول :

ـ خطأ .. لابد وأن نتبيَّن الموقف أوّلاً .. ماذا لو أقمنا الدنيا وأقعدناها ، ثم تبيَّن أن كل هذا مجرَّد خلل فى الأجهزة ، بسبب العاصفة الكهربية ، أو ....

فجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته قفزت مؤشرات مخ (نور) قفزة ثانية ..

ثم ثالثة ..

ورابعة ..

وانتفض جسد الطبيبين ، مع القفزة الخامسة ، وهتف الأوّل ، فى انفعال جارف :

ـ أجر اتصالك بالمخابرات العلمية .. فورًا .

كان يهتف بكل قوته ..

ولكن زميله لم يجر الاتصال ..

بل ، ولم يفعل أى شىء آخر ..

لقد تجمَّد فى مكانه تمامًا ، وهو يحدِّق فيما أمامه ، بكل ذهول وذعر الدنيا ..

فعلى شاشة رصد المؤشرات الحيوية ، ارتفع مستوى إشارات مخ (نور) ، إلى درجة مدهشة ..

إلى أقصى درجة يمكن للجهاز إظهارها ..

أو تحديدها ..

ومع أزيز متصل ، أعلن الجهاز عدم استطاعته بلوغ درجة الإشارة ، التى يبعثها مخ (نور) ..

وعلميًّا وطبيًّا ، كان هذا يتجاوز الحدود ..

كل الحدود ..

بلا استثناء ..

* * *

فى وقت واحد تقريبًا ، توقَّفت ثلاث سيارات ، فى ساحة الانتظار ، للمستشفى العسكرى ، وقفز منها الدكتور (سمير) ، المدير الجديد لمركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، و(سلوى) ، و(أكرم) .

وعند مدخل المستشفى ، التقى الثلاثة ، وهتفت (سلوى) ، وهى تلهث من فرط الانفعال :

ـ هل بلغكما الخبر مثلى ؟! هل تدركان ما يعنيه ؟!

أجابها (أكرم) فى حماس :

ـ يعنى أن (نور) يوشك على استعادة وعيه .. أليس كذلك ؟!

هتف رئيس مركز الأبحاث الجديد :

ـ لا يمكنك الجزم .

كانت الأمطار تهطل فى غزارة ، والبرق ما زال يسطع فى السماء ، عندما بلغ ثلاثتهم قسم الرعاية المركزة ، وفوجئوا بوجود الدكتور (حجازى) هناك ، وهو يقول فى توتر :

ـ لقد توقَّفت تلك الإشارات .

سألته (سلوى) بكل انفعالها :

ـ ماذا تقصد يا دكتور (حجازى) ؟!

أشار كبير الأطباء الشرعيين إلى شاشة رصد معدلات (نور) الحيوية ، وهو يجيب فى أسف :

ـ كانت حالة نشاط مخى فائق محدودة ، استغرقت ثلاثين ثانية فحسب ، وبعدها عاد كل شىء إلى ما كان عليه ، وعادت إشارات مخ (نور) ترسم منحنيات بالغة الضعف ، كما تفعل منذ أكثر من شهر كامل .

بدا الإحباط وخيبة الأمل على وجوه ثلاثتهم ، وغمغم الدكتور (سمير) :

ـ يبدو أنه كان أملاً أجمل من أن يتحقَّق .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وكأنما لم ترق له العبارة ، فى حين حدَّقت (سلوى) فى المنحنيات التى سجلتها الشاشة ، وقفزاتها المتوالية ، مغمغمة :

ـ عجبًا !

ضاقت عيناها ، وكأنما تتبيَّن أمرًا ما ، فسألها الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ هل ترين شيئًا ؟!

غمغمت فى توتر :

ـ بل أشياء .

التفت إليها (أكرم) ، فى اهتمام عصبى ، فى حين اعتدلت هى ، وشدت قامتها ، وهى تقول :

ـ هل يمكننى الحصول على نسخة من هذه المنحنيات الرقمية ؟!

أجابها (حجازى) فى سرعة :

ـ لست أظنهم يمانعون منحك إياها ، ولكن لماذا ؟!

أجابت فى عصبية :

ـ لأن دراستها هى تخصصى الأوّل يا دكتور (حجازى) ، ولأن الراقد أمامكم ، فى غيبوبة عميقة ، لم تمنع انطلاق تلك الإشارات القوية من مخه ، هو زوجى ، والرجل الذى لم أحب سواه ، منذ عرف قلبى الحب .

سألها (أكرم) فى توتر :

ـ هل تعتقدين أنه بإمكانك التوصُّل إلى شىء ما ، بوساطة هذه المنحنيات ؟!

ألقت نظرة طويلة أخرى على المنحنيات الفائقة ، التى لا تتناسب قط مع موقف (نور) ، وغيبوبته العميقة ، قبل أن تغمغم :

ـ نعم .. أعتقد هذا .

سطع البرق عقب كلماتها ، ثم دوى الرعد فى قوة ، أضافت إلى الموقف المزيد من الرهبة والتوتر ، وخاصة مع انعكاس وميض البرق على وجه وجسم (س ـ ١٨) ، الذى بدا فى تلك اللحظة أكثر قسوة وجمودًا ، مما جعل الدكتور (سمير) يغمغم فى عصبية :

ـ يبدو أننى لن أعتاد هذا المشهد أبدًا .

غمغم أحد طبيبى غرفة العناية المركَّزة ، فى توتر شديد :

ـ نحن لم ننجح فى هذا قط .

وقال الآخر فى عصبية :

ـ ولم نعد حتى نحتمل وجود هذا الشىء هنا .

انعقد حاجبا الدكتور (سمير) ، وهو يغمغم :

ـ ليس من المفترض أن يكون هنا .

أطلَّت صرامة واضحة ، من ملامح (أكرم) وصوته ، وهو يقول :

ـ وعلى الرغم من هذا ، لست أنصح بمحاولة زحزحته من مكانه .

مطَّ الدكتور (سمير) شفتيه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أعلم هذا .

نقلت (سلوى) بصرها بينهم جميعًا ، وتوقَّفت بضع لحظات ، عند جسد زوجها (نور) ، الغارق فى غيبوبة عميقة ، وسط الآلات الإليكترونية والرقمية ، قبل أن تقول فى صرامة :

ـ فى كل الأحوال .. هل يمكننى الحصول على نسخة المنحنيات ؟!

التقى حاجبا أحد الطبيبين بمنتهى الشدة ، فى حين قال الآخر فى توتر :

ـ فورًا يا سيِّدتى .

تحرّك فى سرعة ؛ ليطبع المنحنيات الرقمية ، على أسطوانة مدمجة عالية الكثافة ، فى حين قال الدكتور (سمير) بتوتره المعهود :

ـ أتعشَّم أن يوصلنا هذا إلى تطوّر ما .

لم يعلِّق أحدهم على عبارته ، وإن تركزت عيونهم جميعها على جسد (نور) الساكن ، قبل أن يغمغم (أكرم) فى توتر :

ـ كم أتمنى لو أعلم ما يدور فى أعماق غيبوبته العميقة هذه !

لم يكد يتم عبارته ، حتى أطلقت (سلوى) شهقة متوترة ، جعلتهم يلتفتون إليها جميعًا ، و (أكرم) يمسك مقبض مسدسه بحركة غريزية ، فهتفت ، وهى تشير إلى الشاشة :

ـ لقد حدث مرة أخرى .

هتف بها أحد الطبيبين فى لهفة :

ـ ما الذى حدث ؟!

أجابته بصوت مرتجف من فرط الانفعال :

ـ المنحنيات المخيَّة قفزت بغتة .

ارتفعت عيون الجميع ، تحدِّق فى المنحنى المرتفع الحاد ، الذى بدا واضحًا على الشاشة ، وغمغم الدكتور (سمير) :

ـ هناك شىء ما يحدث .. شىء لا يمكننا فهمه .

استدارت إليه (سلوى) بحركة حادة ، قائلة فى حزم :

ـ حتى هذه اللحظة .

سألها الدكتور (حجازى) فى حذر :

ـ ماذا تعنين ؟!

رفعت عينيها بكل حزمها ، إلى شاشة رصد المعدلات الحيوية ، وهى تجيب :

ـ أعنى أن ما رأيته بعينىَّ الآن ، يحتم علىَّ ألا أبرح هذا المكان ، قبل أن أجد تفسيرًا للموقف .

ثم استدارت إلى الدكتور (سمير) ، مستطردة :

ـ سأنقل كل أجهزتى إلى هنا ، وأرصد كل تغيُّر ، مهما صغر شأنه ، فى موجات عقل (نور) ، أو ...

قبل أن تتم عبارتها ، وثبت منحنيات إشارات (نور) المخية وثبة جديدة ..

وثبة توافقت مع سطوع البرق ، وأعقبها هزيم الرعد ، الذى انتهى بصوت (س ـ ١٨) المعدنى الآلى الجاف ، وهو ينطق العبارة الوحيدة ، المسجّلة فى برنامجه الآلى :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى ..

واتسعت عيون الجميع عن آخرها ..

فذلك التطوّر الآخير كان يعنى الكثير ..

والكثير جدًا ..

★ ★ ★

« (نور) استعاد وعيه ؟! » ..

هتف القائد الأعلى الجديد ، للمخابرات العلمية المصرية بالعبارة ، بكل دهشة الدنيا ، وهو يتطلَّع إلى الدكتور (سمير) فى لهفة ، ولكن هذا الأخير هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ هذا ما أوحى به الأمر فى البداية ، مع تلك الوثبات ، من النشاط المخى المتقطِّع الفائق ، الذى سجلته أجهزة القياس الرقمية ، ومع تلك الاستجابة العجيبة لذلك الأطلنطى الآلى ، والتى بدا فيها وكأنه قد تلقى أمرًا من (نور) ، إلا أنه لم يحرِّك ساكنًا ، على الرغم من هذا ، أو يقم بأية حركة ، يمكن أن تفسِّر عبارته .

التقى حاجبا القائد الأعلى الجديد ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويدير الأمر كله فى رأسه ، قبل أن يتساءل فى اهتمام ، وبصوت بدا وكأنه يتحدَّث به مع نفسه :

ـ ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أجابه الدكتور (سمير) فى سرعة :

ـ خبراؤنا يقولون إنه نوع من الاحتقان المخى ، الذى يؤدى إلى حدوث طفرات نشاط غير متوقّعة ، و ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ألديهم دليل علمى على هذا ؟!

صمت الدكتور (سمير) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ ليس بعد .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا يمكننا الاعتماد على نظريتهم إذن .

قال الدكتور (سمير) فى عصبية :

ـ لابد من وجود تفسير ما .

أجابه القائد الأعلى ، حتى قبل أن تكتمل عبارته :

ـ بالتأكيد .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف بكل صرامة الدنيا :

ـ ولكننا لم نتوصّل إليه بعد .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت (سلوى) قد انتهت من توصيل أجهزتها بشاشة الرصد الحيوى ، الخاصة بزوجها (نور) ، ثم استقرّت على مقعد صغير ، وهى تقول فى توتر :

ـ الآن ، يمكننا أن نلتقط أية تغيرات ، مهما بلغت ضآلتها ، وتحليلها ؛ للبحث عن تفسير علمى ومنطقى لها .

حمل صوت (أكرم) كل قلقه ، وهو يقول :

ـ (سلوى) .. أنت تحتاجين إلى الراحة .. شحوب وجهك يشف عن إجهادك الشديد ..

هزّت رأسها ، قائلة فى إصرار :

ـ لقد قضيت ليلتين متواصلتين ، إلى جوار ابنتى (نشوى) ؛ بسبب الآلام التى لم تفارقها ، منذ موقعتنا الأخيرة ، مع ذلك المسخ .

قال فى قلق أكثر :

ـ هذا يعنى أن الراحة أصبحت حتمية ، وأن استمرارك قد يعنى انهيارك التام ، فى أية لحظة .

كان محقًّا تمامًا فى قوله ؛ فقد تثاقلت عيناها ، واكتنف الصداع رأسها ، وسرت فى جسدها كله ارتجافة غامضة ، كادت تلتهم عقلها كله ، إلا أنها قاومت كل هذا فى إصرار ، وهى تقول ، فى شىء من الحدة :

ـ فليكن .

وازدردت لعابها فى صعوبة ، قبل أن تضيف ، وهى تتطلَّع فى أسى إلى جسد زوجها (نور) ، الفاقد الوعى فى عمق :

ـ لن أتركه وحده ، فى ظروف كهذه .

قال (أكرم) ، فى إشفاق عصبى :

ـ (نور) فى حجرة عناية مركزة يا (سلوى) ، ومتطلبات الحياة والعمل تجبرنا على تركه وحده معظم الوقت ، و ...

خُيِّل إليها أن كلماته تتلاشى فى بطء ، وتسقط فى بئر سحيقة بلا قرار ، وأن جفنيها يتثاقلان ، ويتهدلان على عينيها ، و ...

وفجأة ، بدا لها وكأن (نور) ينهض ..

يستيقظ من غيبوبته العميقة ، ويعتدل على فراشه ، ثم يدور فى بطء ، ليجلس على طرفه ..

وخفق قلبها فى عنف ..

خفق ..

وخفق ..

وخفق ..

وعلى الرغم من أن (أكرم) يقف على بعد خطوات قليلة منها ، ومن أن طبيبى قسم العناية المركَّزة يجلسان فى طرف حجرة المتابعة ، إلا أنها شعرت وكأنها قد انفصلت تمامًا عن العالم المحيط بها ، ولم تعد ترى سوى (نور) ..

(نور) ، الذى انتزع كل الأسلاك المتصلة بجسده ، والتى تربطه بأجهزة الرصد الحيوية الرقمية ، ثم هبط من الفراش ، واتجه فى بطء وهدوء ، نحو الحاجز الزجاجى ، الذى يفصل وحدة العناية المركَّزة ، عن قسم المتابعة ..

وبكل لهفة وانفعال الدنيا ، أرادت (سلوى) أن تصرخ ..

أن تبتهج ..

أن تخبر كل من حولها بما حدث ..

والعجيب أن أحدًا سواها لم ير ما حدث ..

أو ينتبه إليه ..

أو حتى يشعر به ..

الكل بدوا منشغلين بأمور أخرى ..

أمور مختلفة ..

و (نور) يقترب من الحاجز الزجاجى ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ولم تستطع هى أن تصرخ ..

أو تبتهج ..

أو تنطق حتى حرفًا واحدًا ..

لقد انعقد لسانها فى حلقها ، وعجزت عن النطق ، ولم تستطع قول كلمة واحدة ..

كل ما فعلته هو أن راحت تحدّق فى (نور) ، وقلبها يخفق ..

ويخفق ..

ويخفق ..

ثم انتبهت فجأة إلى أن (نور) ليس كما عهدته ..

كان فيه شىء يختلف ..

يختلف كثيرًا ..

وانعقد حاجباها فى شدَّة ، وهى تحاول تحديد ذلك الاختلاف ..

و(نور) يقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، انتبهت هى إلى ذلك الاختلاف ..

وانتفض جسدها كله ..

وبمنتهى العنف ..

فـ (نور) ، الذى يتقدَّم ببطء وجمود عجيبين ، من الحاجز الزجاجى السميك ، الذى يفصلها عن حجرته ، لم يكن هو (نور) الذى عرفته ، وتزوجته ، وأحبته طويلاً ..

لقد كان مسخًا آخر ..

مسخًا له رأس مشقوق مزدوج ، و ...

« (سلوى) .. هل رأيت هذا ؟! » ..

انتزعتها عبارة (أكرم) ، المفعمة بالانفعال من كل مشاعرها ، قبل أن يضيف بكل توتره :

ـ لقد قفزت المنحنيات مرة أخرى .

فتحت عينيها ، قبل أن تكتمل عبارته ، وحدّقت فيما أمامها ، بكل ذعر وذهول الدنيا ..

وهنا فقط ، أدركت أن كل ما رأته ، على الرغم من وضوحه الشديد ، كان مجرّد كابوس ..

كابوس سيطر على كيانها كله ..

وحتى النخاع ..

فقد كان (نور) يرقد على فراشه ، فاقد الوعى ، محاطًا بالأسلاك وأجهزة الفحص ، و (س ــ ١٨) يقف أمام باب حجرته ، كتمثال قاس ، فى حين راحت منحنيات إشارات المخ على الشاشة تتقافز ..

وتتقافز ..

وتتقافز ..

وبكل توتر الدنيا ، تساءل أحد الطبيبين :

ـ ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟!

مع قوله ، نقلت (سلوى) بصرها فى سرعة ، إلى شاشة أجهزتها الخاصة ، التى تراصت عليها مجموعات من البيانات ، فى تعاقب مدهش ، جعلها تغمغم :

ـ مستحيل !

تشبّث (أكرم) بالحاجز أمامه ، وهو يسألها فى انفعال :

ـ ما المستحيل ؟!

رفعت عينيها المذعورتين إليه ، وهى تقول مرتجفة :

ـ تلك الإشارات لا تنبعث من عقل (نور) .

تعلّقت عيون الكل بها ، فى لهفة قلقة متوترة ، وهى تتابع :

ـ إنها تأتى إليه .

بُهِتَ الكل لقولها ، فى حين حاولت هى أن تزدرد فى صعوبة ، مع إضافتها :

ـ وبقوة تتجاوز كل الحدود .. على الإطلاق .

وهوى قلب (أكرم) بين قدميه ..

بعنف ..

* * *



٢ ـ الرعـــب ..

كل شىء كان يدور على ما يـرام ، فـى وحـدة الاتصـالات الفائقة ، التابعة للقوات المسلحة المصرية ..

العمل يدور فى انتظام ..

والعاملون فى مواقعهم ..

بلا مفاجآت ..

أو تجاوزات ..

أو أية ظواهر غير متوقعة ..

وفى حجرة مكتبه ، راح مدير الوحـدة يراجـع مـع القـادة خطة العمل ، خلال المرحلة القادمة ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ المفترض أن تتضاعف قوة البث والالتقاط مرتين علـى الأقل ، خلال العام القادم ، والأبحاث لم تتوصَّل إلا لمضاعفة واحدة حتـى الآن ، وينبغـى أن نضـاعف الجهـد ، ونراجـع طلبات قسم التطوير ، و ...

فجأة ، بتر عبارته ..

وفجأة ، تجمَّدت عيناه ..

وشرد بصره ..

وتخشَّب جسده ..

وبكل الدهشة والحيرة ، لاذ قادة الوحدات الفرعية بالصمت ، وهم يتطلعون إليه ، فى جموده العجيب ، دون أن يجرؤ أحدهم على مناقشة ما حدث ، أو التفوه بحرف واحد ..

ولثوان ، تجمَّد المشهد كله ، وكأنه صورة رقمية ثلاثية الأبعاد ، على شاشة من شاشات البلازما ، قبل أن يدور المدير حول نفسه ، فى آلية عجيبة ، ويتجه إلى مكتبه ..

وهنا ، نهض قادة الوحدات ، وتبعوه فى حذر متوتر ، إلا أنه بدا وكأنه لا يشعر بوجودهم على الإطلاق ، وهو يفتح خزانة خاصة ، ويسحب منها جهازًا صغيرًا ، يحوى فى منتصفه زرًا منفردًا أحمر اللون ..

وفى اللحظة الأولى ، أدرك كل القادة ماهية ذلك الجهاز الصغير ، فغمغم أحدهم فى توتر شديد :

ـ ماذا ستفعل يا سيِّدى ؟!

تجاهله المدير تمامًا ، وهو يجذب ذراعًا صغيرة ، فى جانب الجهاز ، ثم يتجه بسبَّابته نحو الزر الأحمر ..

وفى ذعر لا محدود ، صرخ أحد القادة :

ـ لا .. لا تفعلها .

ووثب بكل قوته ، يقبض على ذراعى المدير ؛ فى محاولة لمنعه من ضغط ذلك الزر الأحمر ، وهو يصرخ :

ـ إنه يحاول نسف الأجهزة الرئيسية .. امنعوه بأى ثمن .

وقبل حتى أن تكتمل صرخته ، لطمه المدير لطمة قوية ، طار معها الرجل عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار بكل العنف ، قبل أن يسقط أرضًا ..

وعلى الرغم من ذهولهم لما حدث ، اندفع الكل يحاولون منع المدير ، من نسف أجهزة البث والاستقبال الرئيسية ، إلا أن سبَّابته كانت أكثر سرعة ، وهى تندفع نحو الزر الأحمر ، وتضغطه بمنتهى القوة ..

وانتفضت أجساد القادة ، مع دوى الانفجارات العنيف ، الذى أعقب هذا ، وأمام عيونهم الذاهلة المذعورة ، رأوا طبق الاتصالات الفائقة ، وهو يهوى من أعلى المبنى المقابل ، فى مشهد رهيب ..

ثم دوى صوت ارتطام هائل ..

وتحطمت النافذة الكبيرة ، التى رأوا عبرها المشهد ..

وتناثر الشظايا فى عنف عبر الحجرة ..

وانغرست فى الأجساد ..

كل الأجساد ..

وفى لحظة واحدة ، تحوَّل المكان كله إلى حمام من الدم .

ووسط تلك الفوضى العارمة ، هتف أحدهم :

ـ المدير .. أوقفوا المدير ..

وعلى الرغم من إصاباتهم ، أدار الكل عيونهم إلى المدير ، الذى اتجه بنفس الآلية الجامدة نحو النافذة ، فوثب أحدهم محاولاً إيقافه ..

ولكن وثبته هو سبقت هذا ..

فبنفس الآلية ، ترك المدير جسده يهوى من نافذة الطابق الخامس .

وسمع الرجال صوت ارتطام آخر ..

ارتطام أكثر بشاعة ..

بكثير ..

★ ★ ★

« لابد من وجود تفسير منطقى لهذا .. » ..

نطق الدكتور (سمير) العبارة ، وهو يتفقَّد الفوضى الشاملة ، التى أصابت وحدة الاتصالات العسكرية الفائقة ، إثر ما حدث ، ثم تضاعفت النبرة العصبية فى صوته ، وهو يلوِّح بذراعيه كلها ، مستطردًا :

ـ لا يمكن أن يصاب المدير بلوثة مفاجئة ، فينسف أطباق الاتصالات الفائقة ثم ينتحر ، دون أن يكون هناك سبب منطقى وراء هذا .

هزَّ كبير قادة الوحدات رأسه فى توتر ، وهو يقول :

ـ إننا نراجع ملفه كله الآن ، وأرسلنا نسخة إليكترونية منه إلى المخابرات العامة ، والمخابرات العلمية ، لعل أية جهة تفيدنا بهذا السبب المنطقى ، ولكن ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وكأنما يخشى الاستطراد ، فانعقد حاجبا الدكتور (سمير) ، وهو يسأله فى حدة :

ـ ولكن ماذا ؟!

بدا التردد واضحًا على الرجل ، فصرخ فيه الدكتور (سمير) ، مكرِّرًا :

ـ ولكن ماذا يا رجل ؟!

دام تردُّد الرجل بضع لحظات أخرى ، قبل أن يندفع ، قائلاً فى توتر شديد :

ـ أجهزتنا رصدت اتصالاً فائقًا قويًّا ، يتوافق مع نفس اللحظة ، التى بدأ فيها المدير جموده ، الذى جعله يفعل ما فعل .

انعقد حاجبا الدكتور (سمير) فى شدة ، وهو يسأله :

ـ هل سجلتم الوقت بدقة ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول ، بنفس التوتر الشديد :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد .. هاهو ذا التقرير الرقمى الرسمى .

ازداد انعقاد حاجبى الدكتور (سمير) ، وهو يراجع فى سرعة ذلك التوقيت ، الذى حدده التقرير ، مع التوقيت الذى سجلته أجهزة (سلوى) ، لذلك النشاط الفائق لمخ (نور) ، قبل أن يغَمغم بمنتهى العصبية :

ـ مستحيل !

سأله الرجل ، وقد ضاعفت الكلمة توتره :

ـ هل يعنى التوقيت شيئًا ؟!

رفع الدكتور (سمير) عينيه إليه ، وهو يجيب فى عصبية :

ـ بالتأكيد .. إنه يعنى الكثير .

وصمت لحظة ، قبل أن يجيب فى خفوت ، بلغ ذروة العصبية :

ـ يعنى أننا نواجه كارثة ، تفوق كل ما واجهناه من قبل .

اتسعت عينا الرجل ، وهو يتطلَّع إليه ، فى مزيج عنيف ، من القلق والتوتر ، فتابع فى خفوت أكثر :

ـ ألف مرة .

ووثب توتر كبير قادة الوحدات إلى الذروة ..

على الأقل ..

★ ★ ★

تراجع القائد الأعلى الجديد ، للمخابرات العلمية المصرية فى مقعده ، فى بطء شديد ، فرضه انفعاله الجارف ، وهو يتساءل :

ـ أأنت واثق مما تقول يا دكتور (سمير) ؟!

أومأ الدكتور (سمير) برأسه إيجابًا ، وهو يقول متوترًا :

ـ لقد راجعت الأمر أكثر من خمس مرات ، مع فريق من أفضل رجالنا يا سيِّدى ، وراجعته مع الخبراء ، كُلٌّ على حدة ، دون أن تختلف النتيجة مرة واحدة.

ثم مال نحو القائد الأعلى ، مضيفًا فى حزم متوتر :

ـ المقدَّم (نور) هو المسئول الأوَّل ، عما حدث لوحدة الاتصالات الفائقة العسكرية .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أمر يتجاوز كل المقاييس بالفعل .. (نور) غائب عن الوعى ، وغارق فى غيبوبة عميقة ، ولكنه المسئول الأوَّل ، عن تدمير عنيف !!

اندفع الدكتور (سمير) يقول :

ـ كل الخبراء أجمعوا على أن أطباق الاتصالات الفائقة ، قد التقطت حالة اتصال قوية نادرة ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها منحنيات المقدَّم (نور) إلى ذروتها ، والتى تمت فيها السيطرة على عقل مدير الوحدة ، ودفعه إلى فعل ما فعل .

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى توتر ، مغمغمًا :

ـ هذا ليس كافيًا .

تابع الدكتور (سمير) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ وأقوال الشهود ، مع ما سجلته آلات المراقبة ، تؤكِّد كلها أن المدير قد سقط أسير تأثير عقلى فائق ، دفع به إلى جنون مؤقَّت .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وانخرط فى تفكير عميق متوتر بضع لحظات ، قبل أن يقول بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

ـ ولو افترضنا أن هذا صحيح ، فما الذى ينبغى علينا فعله ؟!

اعتدل الدكتور (سمير) فى وقفته ، وشد قامته فى توتر ، وهو يجيب :

ـ ينبغى أن ندرأ الخطر ، الذى أسفر عن نفسه ، فى واقعة تدمير أطباق الاتصالات الفائقة .

تضاعف توتر القائد الأعلى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين تابع الدكتور (سمير) ، والحزم يتسلَّل إلى صوته رويدًا رويدًا :

ـ فما اتفق عليه الخبراء ، هو أن ذلك التدمير مجرَّد بداية ، إذ لم تعد لدينا بعده وسيلة مضمونة ؛ لرصد الاتصالات الفائقة أو مواجهتها ، مما يعنى أن الضربة التالية ستكون أكثر عنفًا ، وتأثيرًا ، و ...

قاطعه القائد الأعلى ، فى توتر فائق :

ـ ما زلت لم تخبرنى ، ما الذى ينبغى علينا فعله ؟!

التقط الدكتور (سمير) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ ليس هناك سوى حل واحد ، اتفق عليه كل الخبراء ، من أجل مصلحة وأمن (مصر) ، على الرغم من كل ما يحمله من مرارة ، وأسف ، وكل ما ...

عاد القائد الأعلى يقاطعه ، فى نفاد صبر واضح :

ـ ما الذى ينبغى أن نفعله ؟!

صمت الدكتور (سمير) بضع لحظات هذه المرة ، قبل أن يجيب بمنتهى التوتر :

ـ القضاء على مصدر الخطر.

سرى توتر شديد ، فى كل ذرة من كيان القائد الأعلى ، وتطلَّع بكل عصبية الدنيا إلى الدكتور (سمير) ، الذى أضاف بصوت شديد الخفوت ، وكأنما يخشى أن يسمع نفسه :

ـ وسيلتنا الوحيدة للنجاة ، هى القضاء على المقدَّم (نور) ... نهائيًا .

واتسعت عينا القائد الأعلى ..

وخفق قلبه..

بل ارتجف بين ضلوعه ..

وانعصر ..

بعنف ..

★ ★ ★

« ألم تجدى تفسيرًا بعد ؟! » ..

ألقى (أكرم) السؤال فى قلق شديد ، وهو يتطلَّع إلى شاشة أجهزة (سلوى) ، التى هزَّت رأسها نفيًا فى بطء ، قبل أن تجيب فى أسى :

ـ ليس بعد للأسف .. إننى لم أحدد مصدر ذلك الاتصال

الفائق ، الذى يلتقطه عقل (نور) ، ثم يعيد بثه على نحو عجيب ، ليس له أى تفسير علمى .

تمتم (أكرم) فى توتر :

ـ يعيد بثه ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ نعم يا (أكرم) .. هناك شىء ما ، لم أستطع فهمه أبدًا ، ففى كل مرة ، يبدو لى وكأن طاقة ما تشحن مخ (نور) ، وتتوغّل فى كل خلية من خلاياه ، حتى يبلغ نشاطه أوجه ، على الرغم من غرقه فى غيبوبته العميقة .. ثم ، وبفارق جزء من ثلاث عشرة جزء من الثانية بالتحديد ، تطلق خلاياه المخية كل تلك الشحنة دفعة واحدة ، وبقوة تبلغ ضعف قوة الشحن الأوّلية.

تراجع ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !

تابعت هى ، دون أن تتوقف عند تعليقه :

ـ فى البداية ، بدا لى أن عقله يتلقّى اتصالاً فائقًا ، فى نقطة بث مجهولة ، ولكن مع إعادة تحليل الموقف ، بدا لى أن مصدر الاتصال يكمن داخله .

انتفض جسد (أكرم) كله فى عنف ، وهو يهتف :

ـ داخله ؟! رباه ! أيمكن أن ...

قاطعته (سلوى) ، فى انفعال جارف !

ـ إياك أن تنطقها !

أجابها فى توتر شديد ، ويده تتحسَّس مسدسه ، المعلّق فى حزامه ، وكأنما ينشد فيه الحماية :

ـ لابد وأن أنطقها يا (سلوى) .. ولابد وأن تضعى الاحتمال فى ذهنك ، مهما بدا مخيفًا أو مفزعًا ؛ فصراعنا مع ذلك المسخ مزدوج المخ ، كان أعنف مما ينبغى ؛ وربما ترك شيئًا ما ، فى بقعة خفية ، فى أعمق أعماق عقل (نور) .. شىء يمكن أن يعيده إلى الوجود ، فى ...

بتر عبارته بنفسه هذه المرة ، غير قادر على المواصلة ، إذ بدا له الأمر بالفعل أبشع من أن ينطقه ، فالتقط نفسًا عميقًا فى صعوبة ، وتمتم فى عصبية :

ـ إنه مجرَّد احتمال .

حدَّقت (سلوى) فى وجهه بذعر حقيقى ، وعقلها يرتجف فى رعب ، من هذا الاحتمال الرهيب ..

أمن الممكن بالفعل أن يكون ذلك المسخ الرهيب ، قد غرس جزءًا منه ، فى بقعة مظلمة ، فى مخ (نور) ؟!

أيمكن أن يستغل هذا للعودة ، من خلال جسده ؟!

جسد زوجها .. (نور) ..

أفزعها الاحتمال ، على نحو لم يحدث من قبل ، وزاغت عيناها ، وهى تتطلَّع إلى جسد (نور) ، الغارق فى غيبوبته العميقة ، وقفزت أصابعها إلى أزرار الكمبيوتر ، وهى تقول فى اضطراب :

ـ لو أنه قد ترك ذرة واحدة هناك ، فسأجدها .. سأجدها حتمًا .. بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

بدأت صورة مشوَّشة تظهر ، على شاشة أجهزتها ، فسألها أحد طبيبى قسم العناية المركَّزة فى توتر :

ـ ماذا تفعلين بالضبط يا سيِّدتى ؟!

أجابته بكل توتر الدنيا :

ـ أقوم بمسح شامل لمخه .

هزَّ رأسه فى عصبية ، قائلاً :

ـ ولكننا قمنا بهذا المسح ثلاث مرات على الأقل ، و ...

قاطعته فى شراسة ، لا تتناسب قط مع طبيعتها :

ـ ليس بطريقتى .

تراجع الرجل فى توتر ، وتبادل نظرة عصبية مع زميله ، فى حين انعقد حاجبا (أكرم) بمنتهى الشدة ، وقبض على مقبض مسدسه فى قوة ، وهو يتابع أصابع (سلوى) ، وهى تتقافز بين أزرار الكمبيوتر ..

وتتقافز ..

وتتقافز ..

بلا نهاية ..

★ ★ ★

لم يشعر القائد الأعلى بذرة واحدة من الارتياح ، وهو يستمع إلى حديث الدكتور (سمير) ، مدير مركز الأبحاث العلمى الجديد ، أثناء شرحه للخطة ، التى اعتمدها ؛ للقضاء على (نور) ..

وفى توتر شديد ، قاطعه ، قائلاً :

ـ ينبغى أن يكون هذا آخر ما نلجأ إليه ، بعد أن نتيقَّن تمامًا من أن المقدَّم (نور) هو المسئول عما يحدث .

انعقد حاجبا الدكتور (سمير) ، واعتدل فى وقفته ، وهو يقول :

ـ ربما يمكننا نحن أن ننتظر.

ثم لوَّح بسبَّابته ، مستطردًا فى حدة :

ـ ولكن هل سينتظر هو ؟!

حملت عينا القائد الأعلى تساؤلاً مضطربًا ، فتابع بنفس الحدة :

ـ بعد انهيار وحدة الاتصالات الفائقة العسكرية ، أصبح مجال السيطرة على الاتصالات مفتوحًا ، أمام أى خصم غير تقليدى ؛ إذ لم تعد لدينا أية قدرة على البث أو الاعتراض ، ولو أن ذلك الشىء ، الكامن فى عقله ، يسعى لـ ...

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ قلت : لو ...

ازداد انعقاد حاجبى الدكتور (سمير) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ فليكن .. دعنا نطرح السؤال بشكل آخر .. ماذا لو أن هذا صحيح ؟!

نافسه القائد الأعلى ، فى صرامة صوته وأسلوبه ، وهو يجيب :

ـ فى هذه الحالة ، سنتخذ كل الإجراءات اللازمة .

قال الدكتور (سمير) ، مستعيدًا حدته :

ـ بعد أن نكون قد خسرنا الكثير .

صاح القائد الأعلى ، فى حدة أكثر :

ـ خسارة المقدّم (نور) ، لا تساويها أية خسارة يا رجل .

احتقن وجه الدكتور (سمير) فى شدة ، فتابع القائد الأعلى فى صرامة حادة غاضبة :

ـ كلانا تولَّى منصبه منذ أيام قليلة ، ولكن الفارق بيننا كبير للغاية ، فأنا كنت نائبًا للقائد الأعلى السابق ، لأكثر من عامين ، تابعت خلالهما انتصارات (نور) وفريقه ، فى قضايا تصوَّرنا كلنا أنها مستحيلة ، وشهدت بنفسى عبقريته ، وجرأته ، واستعداده الدائم لبذل الدم والروح ، من أجل (مصر) ، دون ذرة واحدة من التردُّد ، إذا ما دعت الحاجة إلى هذا ، ولا يمكننى أن أتصوَّر الآن أننا سنتخذ قرارًا بالقضاء عليه ، بكل هذه البساطة ؛ لمجرَّد أن لدينا شكوكًا ،

حول مسئوليته عن أمر خارق للمألوف ، حدث أثناء وقوعه فى غيبوبة عميقة .

قال الدكتور (سمير) فى عصبية :

ـ ربما كانت بالفعل مجرَّد شكوك ، ولكنها شكوك قوية للغاية ، ونتائجها لا تحتمل التأخير أو التأجيل .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لن أصدر قرارًا كهذا ، إلا إذا أصبح الأمر مؤكَّدًا ، دون ذرة واحدة من الشك .

احتقن وجه الدكتور (سمير) ، فى غضب شديد ، وشد قامته ، وهو يقول :

ـ فليكن أيها القائد الأعلى ، ولكنك ستصدر قرارًا رسميًّا بهذا ، حتى تتحمَّل المسئولية كاملة ، إذا ما وقعت ضربة ثانية .

بدا القائد الأعلى أكثر صرامة ، وهو يقول :

ـ فليكن .. سأتحمل المسئولية كاملة .

سأله الدكتور (سمير) فى توتر :

ـ وإذا ما حدثت ضربة ثانية .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، ثم أجاب فى صرامة متوترة :

ـ لحظتها ، يمكنك أن تعتبر أن خطتك واجبة التنفيذ .

تألَّقت عينا الدكتور (سمير) ، وهو يقول :

ـ هذا يكفينى .

نطقها ، واستدار يغادر مكتب القائد الأعلى ، وذهنه يراجع تلك الخطة ، التى انشغل طويلاً فى وضعها ..

خطة القضاء على المقدَّم (نور) ..

نهائيًا ..

★ ★ ★

ارتفعت المقاتلة الصاروخية التجريبية الجديدة عموديًا ، على نحو غير مسبوق ، فى الهدوء والسلاسة ، وضغط قائدها زر الاتصال ، وهو يقول فى ارتياح :

ـ الإقلاع فاق كل التوقعات .. أنتظر الأوامر بالانطلاق .

أتاه صوت قائده ، من المبنى الرئيسى ، وهو يقول فى حزم :

ـ انطلق يا (نسر ـ ١) .

ودفع قائد المقاتلة عصا صغيرة أمامه ..

وانطلق ..

كان انطلاقًا صامتًا ، يستحيل أن ترصده المعدات المعتادة ، وخلال خمس ثوان فحسب ، بلغت المقاتلة التجريبية سرعتها القصوى ، البالغة خمسة (ماخ)(*) ، وضغط قائدها زر الاتصال مرة أخرى ، قائلاً :

ـ الانطلاق أكثر روعة .. المقاتلة متماسكة تمامًا ، ومقاومتها للهواء تقترب من الصفر .

أتاه صوت قائده :

ـ عظيم .. قم بدورة كاملة ، ثم عد إلى القاعدة ، لاختبار الهبوط العمودى .

أجابه قائد المقاتلة فى سرعة :

ـ علم وينفذ .

سأله قائده :

ـ هل تعانى من أية صعوبات بيولوجية ؟!

(★) الماخ = سرعة الصوت ، أو حوالى (٣٤٠ سم / ثانية) .

أجاب قائد المقاتلة ، بابتسامة واثقة :

ـ مطلقًا .. الواقع أن ...

قبل أن يكمل عبارته ، انطلقت شوشرة عنيفة من أجهزة الاتصال ، فانطلقت من حلقه شهقة ، وهَمَّ بقول شىء ما ..

ولكن فجأة ، انعقد لسانه فى حلقه ..

وتجمَّدت عيناه ..

بل خلاياه كلها ..

وعبر جهاز الاتصال ، انطلق صوت قائده ، وهو يهتف :

ـ ماذا حدث عندك يا (نسر ـ ١) ؟! أكل شىء على ما يرام ؟!

أجب يا (نسر ـ ١) .. أجب .

ولكن (نسر ـ ١) لم يجب .

كل ما فعله هو أن قطع دورته بالمقاتلة التجريبية ، واستدار بها ، عائدًا إلى القاعدة الرئيسية ..

مباشرة ..

وعلى شاشة الرصد ، بدت المقاتلة التجريبية الفائقة ، وهى تنطلق نحو المبنى الرئيسى بالقاعدة ، وسرت موجة من التوتر فى المكان ، وقائده يهتف :

ـ مسارك يشكل خطورة على القاعدة يا (نسر ـ ١) .. قم بتصحيح المسار ، أو سنضطر لإطلاق وسائل الدفاع الجوى .

فى هذه المرة أيضًا ، لم يتلق القائد جوابًا من (نسر ـ ١) ، لذا فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ نداء أخير .. صحح مسارك وأجب يا (نسر ـ ١) .. أجب ..

ومع نهاية هتافه ، أجاب (نسر ـ ١) ..

لم يجب عبر جهاز الاتصال ، وإنما بوساطة صاروخين ، من تلك الصواريخ البالستية شديدة التطوّر ، التى يحملها أسفل جناحيه ، أطلقها نحو وسائل الدفاع الجوى مباشرة .

فى الظروف العادية ، كان من المستحيل أن تبلغ مقاتلة ، أية مقاتلة ، ذلك المدى الغريب ، دون أن تتعامل معها وسائل الدفاع الجوى بمنتهى الحزم ..

ومنتهى الشدة ..

ولكن هذه الحالة كانت خاصة ..

خاصة جدًا ..

فالمقاتلة مصرية ..

والمقاتل مصرى ..

والقاعدة ظل لديها احتمال استجابة ..

وحتى اللحظة الأخيرة ..

لذا ، فعندما انطلق الصاروخان ، كان من المستحيل منعهما ، بأية وسيلة كانت ..

لقد انطلقا نحو هدفيهما ..

وأصاباهما مباشرة ..

وبمنتهى الدقة ..

ووسط حالة ذهول شاملة ، دوى انفجاران هائلان ..

انفجاران دمّرا منصات الدفاع الجوى للقاعدة ، ونشرا الشظايا على ساحة هائلة واسعة ، حتى أن بعضها أصاب زجاج حجرة المراقبة الرئيسية المضاد للرصاصات ، فصاح القائد فى توتر بلغ أقصاه :

- ما الذى يفعله هذا المجنون ؟! ما الذى يحدث بالضبط ؟!

اتسعت عيناه عن آخرهما ، مع نهاية عبارته ، وشعر بأن كل صفارات الإنذار ، التى تدوى فى المكان ، تنطلق من رأسه مباشرة ، عندما رأى المقاتلة التجريبية الجديدة تتجه نحوه مباشرة ، بسرعتها البالغة خمسة أضعاف سرعة الصوت ..

ولأن الفرار من سرعة كهذه مستحيل ، فقد تجمَّد فى مكانه تمامًا ، مغمغمًا :

- إنه مجنون حتمًا ..

وقبل أن تكتمل عبارته ، ارتطمت المقاتلة بالمبنى الرئيسى للقاعدة ..

وكان الانفجار هذه المرة رهيبًا وعنيفًا ..

إلى أقصى حد ممكن .

★ ★ ★

٣ - حكم بالإعدام ..

فجأة ، انتبه عقل (نور) ..

لم يدر كيف استعاد شعوره ، إلا أنه وجد نفسه فجأة متيقظًا ..

واعيًا ..

مدركًا ..

وبكل الانتباه ، الذى ملأ عقله بغتة ، راح يتطلَّع إلى ما حوله ، محاولاً معرفة ماهية المكان ، الذى يقف فيه ..

كان شيئًا لم ير مثيلاً له ، فى حياته كلها ..

مكان فسيح ، متسع ، له جدران رمادية متألقة ، تنتشر فيها ممرات بيضاء متناسقة ، تسرى فيها شرارات باهتة مسرعة ..

وفى حذر متوتر ، راح (نور) يراجع ذاكرته ، بحثًا عن تعريف منطقى لذلك المكان ..

حاول ..

وحاول ..

وحاول ..

ولكن ذاكرته لم تسعفه قط ..

لذا ، لم يكن أمامه سوى أن يستكشفه بنفسه ..

وبكل حذر الدنيا ، تحرك (نور) ..

ومع بدء حركته ، سرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ؛ بسبب ملمس الأرضية ، التى يسير فوقها ..

كانت رخوة لينة ، على نحو لم يعهده قط ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بدت قوية متماسكة ، بحيث احتملت ثقل جسده ، وسمحت له بالانتقال عبرها فى خفة ..

وعلى ضوء تلك الجدران الرمادية المتألقة ، والشرارات الباهتة المسرعة ، فى ممراتها البيضاء ، تبين طريقه ، الذى بدا متشابكًا متداخلاً ، على نحو مربك ..

ولفترة ، عجز عن تحديدها بدقة ، لم يدر إلى أين يذهب بالضبط ..

ثم فجأة ، لمح تلك البقعة هناك ..

بقعة مظلمة للغاية ، حتى أن الجدران المتألقة تعجز عن كشفها ..

وعلى الرغم من إظلامها ، بدا داخلها شبح ما ..

شبح يحيط به ضوء باهت للغاية ، يكفى بالكاد لتبينه ، وهو يجلس على ذلك النحو ، الذى انتفضت له كل خلية من جسد (نور) ..

وانعقد حاجبا رجل المخابرات العلمية ، وهو يقترب من تلك البقعة المظلمة ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم فجأة ، تبين ماهية ذلك الجالس فى منتصفها ، فى وضع القرفصاء ..

وسرت فى جسده مرة أخرى ، تلك القشعريرة الباردة كالثلج ..

إنه هو ..

خصمه الرهيب السابق ..

ذلك المسخ مزدوج المخ ..

كان يجلس القرفصاء ، على مسافة قريبة منه ، وسط دائرة من الظلام الدامس التام ، محاطًا بهالة ضوئية باهتة ، منحته مشهدًا أكثر رهبة ..

لم يكن ينظر إليه مباشرة ، وإنما يخفض وجهه ، متطلّعًا إلى الأرض ، ورأسه المزدوج المشقوق من منتصفه ، يواجهه مباشرة ..

رأس لا يمكن أن تخطئه ..

أبدًا ..

وتجمّد (نور) فى مكانه ..

تجمّد تمامًا ، وهو يحدّق فى ذلك الرأس ، وعقله يطرح عليه ألف سؤال وسؤال ..

كيف عاد ؟!

كيف ظهر مرة أخرى ، بعد أن قضى عليه (أكرم) مرة ، وقضى هو على مخه المستنسخ مرة أخرى ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

ومع التساؤل ، رفع ذلك المسخ رأسه فى بطء مخيف ، وتطلّع إليه مباشرة ، وعيناه تتألقان على نحو رهيب ..

وعلى الرغم منه ، اتسعت عينا (نور) ..

اتسعتا عن آخرهما ، وهو يتراجع فى حذر متوتر ، قبل أن يسمع صوتًا قاسيًا فى رأسه ، يقول :

ـ وجودى يدهشك ويحيّرك .. أليس كذلك ؟!

تعرّف الصوت على الفور ، على الرغم من استنكاره لوجوده ، واضطربت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول :

ـ كيف عدت ؟!

رأى ابتسامة مخيفة ، على شفتىّ ذلك المسخ ، مع تردُّد صوته القاسى فى أعمق أعماق رأسه :

ـ لم أعد ، وإنما استيقظت ؛ فأنا هنا منذ فترة .. منذ امتزج عقلانا فى لحظة ما .

واستعاد ذهن (نور) تلك اللحظة الرهيبة ..

اللحظة التى انقض فيها ، بكل إرادته وطاقاته العقلية ، على ذلك المخ المزدوج المستنسخ الرهيب ، و ... (*)

«لم تتصوّر لحظتها أن لدى خطة طوارئ دفاعية أخيرة» ..

(*) راجع قصة (آخر العمالقة) .. المغامرة رقم (١٥٠) .

انتزعه ذلك الصوت القاسى ، الذى تردَّد فى أعماقه ، من استرجاع ذكرياتـه ، فـانعقد حاجبـاه فـى توتـر شـديد ، وهـو يقول :

ـ وهل تتصورً أن خطتك هذه ستنجح ؟!

تردَّدت فى أعمق أعماقه ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول ذلك الصوت الرهيب :

ـ وجودنا هنا يعنى أنها قد نجحت بالفعل ، فقد غرست جزءًا منى فى تلافيف مخك ، وأطلقته فى أعمـق أعمـاقك ، وكان من الممكن أن يظل حبيسًا كامنًا لسنوات طوال ، لـولا أن سقطت فى تلك الغيبوبة العميقة الطويلة ، التى ساعدتنى على الاستيقاظ ، والعودة مرة أخرى ، داخل عقلك أنت .

ولأوَّل مـرة ، شـعر (نـور) برعـب حقيقـى ، حـاول أن يخفيه فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ سأقاومك ، كما فعلت من قبل ، و ...

قاطعته ضحكة ساخرة قاسية ، تردَّدت فى أعماق عقلـه ، أعقبها صوت المخ الرهيب ، وهو يقول :

ـ تقـاومنى ؟ يبـدو أننى ما زلـت أحتفـظ بقوتـى ، التى

أستخدمها لمضاعفة مواهبك العقلية الخاصة ، دون أن تدرى أنك غارق الآن فى غيبوبة عميقة ، لم تستيقظ منها بعد .

انتفض جسد (نور) ، وهو يقول :

ـ لم أستيقظ منها بعد ؟! مـا الـذى تعنيـه يا هذا ؟! إننـى أقف فى مواجهتك ، و ...

« وأين تقف ؟! » ..

قاطعه صوت المسخ الساخر ، فانعقد حاجباه فـى شـدة ، وهو يتلفَّت حوله فى توتر ، عاجزًا عن إجابة السؤال ..

ولابد وأن ذلك المسخ قد التقط حيرته وتوتره ..

التقطهما ..

وأدركهما ..

وسعد بهما ..

ففى قسوة بالغة ، حملت رنة من سخرية شامتة ، أجاب :

ـ انظر حولـك مـرة أخـرى ، وراجـع كـل مـا درسته فـى صباك ، فى دروس مـادة البيولوجيا ، وستدرك عندئـذ أنـك تقف داخلك .

ردَّد (نور) مبهوتًا :

ـ داخلى ؟!

أجابه المسخ ، فى سخرية أكبر ، وقسوة أكثر :

ـ نعم .. داخلك أيها المقدَّم .. فى أعمق أعماق تلافيف مخك .

قالها ، وأنهاها بضحكة ساخرة وحشية ..

ضحكة رهيبة ..

مخيفة ..

طويلة ..

ضحكة اتسعت معها عينا (نور) ، وجسده الوهمى يتراجع ، ويبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

« رباه ! ما الذى يحدث له بالضبط ؟! » ..

نطقت (سلوى) العبارة ، فى اضطراب ما بعده اضطراب ، وهى تنقل بصرها بين جسد (نور) ، الغارق فى غيبوبته

العميقة ، وتلك المنحنيات المخيفة ، التى ترسمها إشارات مخه ، على شاشة الرصد الحيوية ، فغمغم (أكرم) فى عصبية شديدة :

ـ وما الذى يحدث ؟! اشرحى لى ما يحدث بالله عليك !

أشارت إلى شاشة الرصد الحيوية فى اضطراب ؛ قائلة :

ـ انظر .. إنه ما زال غارقًا فى غيبوبته ، وكل أجهزته الحيوية تشير إلى هذا ، فيما عدا مخه ، الذى يعطى منحنيات منتظمة ، كما لو أنه قد عاد إلى نشاطه الطبيعى .

سألها ، فى توتر أكثر :

ـ ألا يمكن أن يحدث هذا علميًّا ؟!

أجابه أحد الطبيبين :

ـ ليس وفقًا لمعلوماتنا .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى شاشة الرصد الحيوية ، ومنحنياتها التى يجهل كل شىء عنها ، ثم تساءل فى توتر :

ـ وماذا عن ذلك الاحتمال ؟!

سرى التوتر فى جسدها وصوتها ، وهى تهز رأسَها ، قائلة :

ـ أخشى مجردَّ التفكير فيه .

قال فى صرامة ، لم تخف توتره :

ـ ولكن من الضرورى أن نبحث أمره .

أشارت إلى الشاشة المشتركة لأجهزتها ، وهى تقول مضطربة :

ـ إننى أبحثه بالفعل ، بوساطة برنامج دقيق ، وضعته (نشوى) بنفسها ، قبل أن ...

لم يستطع لسانها إكمال عبارتها ، ولم يمهلها (أكرم) حتى لتكملها ، وهو يسأل فى لهفة :

ـ ومتى ستمنحنا أجهزتك الجواب الشافى .

أجابته بنفس الاضطراب :

ـ فى أية لحظة الآن .

حاول أن يقول أى شىء ، إلا أن انفعاله عقد لسانه فى حلقه ، فالتقى حاجباه فى عصبية ، وهو ينقل بصره من

جسد (نور) ، إلى المنحنيات الحيوية ، التى عجز عن فهمها وإدراكها ، فى حين تساءل أحد الطبيبين فى حذر خافت :

ـ وماذا عن ذلك الشىء ؟!

كان يشير إلى (س ـ ١٨) ، الذى يقف جامدًا ، فغمغمت (سلوى) فى توتر واضح :

ـ لا تقلق بشأنه .. إنه يحمى (نور) فحسب .

تساءل الطبيب الآخر ، فى صوت مرتجف :

ـ وماذا لو أنه أساء تفسير أى تصرُّف منا ، باعتباره خطرًا يهدِّد سيِّده ؟! هل سيبادر بمهاجمتنا عندئذ ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ برنامج (س ـ ١٨) أكثر تعقيدًا وتطوّرًا ، من كل ما يمكن أن تبلغه علومنا ، فى مائة عام قادمة .. اطمئن .

مع آخر حروف كلماتها ، سطع البرق مرة أخرى فى السماء ..

وانتفض قلبا الطبيبين ، عندما انعكس ضوءه على وجه وجسم (س ـ ١٨) ..

ولم يطمئن قلباهما ..

لم يطمئنا أبدًا ..

★ ★ ★

« إنها الواقعة الثانية .. » ..

نطق الدكتور (سمير) العبارة فى حزم ، فى مواجهة القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، والذى انعقد حاجباه فى شدة ، دون أن يجيب بحرف واحد ، فتابع الدكتور (سمير) فى شىء من الحدة :

ـ إننا فى انتظار أوامرك ، قبل أن تؤدى ضربة ثالثة إلى شلل دفاعاتنا الخارجية أو الفضائية ، فنصبح لقمة سائغة ، لأى خصم يتربَّص بنا ..

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يغمغم :

ـ القرار ليس سهلاً .

أجابه الدكتور (سمير) ، بنفس الحدة :

ـ إننى على العكس ، أراه سهلاً للغاية .. إنه مستقبل ومصير دولة ، فى مواجهة مصير فرد واحد .. فرد لم يكن

ليتردَّد فى التضحية بحياته ، إذا ما وضعناه فى هذا الموقف ، وهو بكامل وعيه .

مسَّت كلماته عقل القائد الأعلى ، على نحو عجيب ..

نعم .. إنه على حق تمامًا ، فى منطقه هذا ..

فلو كان (نور) بكامل وعيه ، ووجد نفسه فى موقف كهذا ، يقارن فيه بين مصيره ومصير (مصر) ، لما تردَّد لحظة ، فى بذل حياته ، من أجل (مصر) ..

وعلى الرغم من أنه غائب عن الوعى الآن ، إلا أنه يهدد مصير (مصر) كلها ..

ولابد من إيقاف هذا ..

وبأى ثمن ..

ومسئولياته كقائد أعلى ، للمخابرات العلمية المصرية ، تحتم عليه أن يتخذ هذا القرار الحاسم الرهيب ..

وبدون ذرة واحدة من التردُّد ..

وفى صوت خافت متحشرج ، تمتم القائد الأعلى :

ـ وكيف ستتجاوز (س ـ ١٨) ؟!

أجابه الدكتور (سمير) بكل الحزم :

ـ لن تكون هناك أية حاجة لتجاوزه .

سأله القائد الأعلى فى توتر :

ـ وكيف هذا ؟!

مال الدكتور (سمير) على مكتب القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ لن يدرك حتى أن (نور) يتعرَّض لأى خطر ، بل سيبدو له كل ما يحدث طبيعيًّا وتقليديًّا .. حقنة سامة ، أو زيادة صناعية فى نبضات القلب ، إلى حد الموت ، أو ...

قاطعه القائد الأعلى فى توتر :

ـ كفى .. لست أريد معرفة المزيد من التفاصيل ..

تألَّقت عينا الدكتور (سمير) ، وكأنما بلغ ما ينشده بالتحديد ، وهو يشد قامته ، قائلاً فى حزم :

ـ فليكن .. وماذا عن التنفيذ ؟!

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يتطلَّع إليه ، والأسى والمرارة يعتصران قلبه فى عنف ..

كيف يمكن أن يصدر قرارًا بهذا ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

« أوامرك أيها القائد الأعلى .. » ..

نطقها الدكتور (سمير) بكل الحزم ، وكأنه يستحثه على حسم أمره ، فأطلق القائد الأعلى زفرة ملتهبة ، حملت كل توتره ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ لا يمكننى إصدار مثل هذا الأمر .

انعقد حاجبا الدكتور (سمير) فى توتر ، فاستدرك القائد الأعلى فى سرعة :

ـ هذا ليس ضمن صلاحياتى .

سأله الدكتور (سمير) فى عصبية :

ـ من يملك صلاحية إصدار الأمر إذن ؟!

أجابه القائد الأعلى فى سرعة :

ـ رئيس الجمهورية .

شد الدكتور (سمير) قامته ، وحملت ملامحه كل الشك ، وهو يتساءل :

ـ ولماذا ؟!

أجابه القائد الأعلى :

ـ المقدَّم (نور) يحمل وسام الشجاعة ، من الطبقة الأولى ، وهو عضو فى المجموعة الأمنية الخاصة للرئيس ، وهذا يعنى أن أى قرار بشأنه ، لابد وأن يصدر من مؤسسة الرياسة وحدها .

صمت الدكتور (سمير) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فليكن .. دعنا نبلغ الرئيس بالموقف كله .

رمقه القائد الأعلى بنظرة صامتة ، فأضاف فى توتر :

ـ وتذكَّر أننا نفعل هذا من أجل (مصر) .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ببطء ، قبل أن يقول ، فى صوت أكثر خفوتًا مما ينبغى :

ـ بالتأكيد .

ثم ضغط زر جهاز الاتصالات الخاص ، مضيفًا :

ـ وسأبلغ الرئيس فورًا .

تألَّقت عينا الدكتور (سمير) ، وهو يراقب ذلك الاتصال ، ورأسه يدير خطة جديدة مختلفة ..

خطة لتجاوز كل القواعد ، والقضاء على (نور) .. من أجل (مصر) ..

* * *

« مستحيل ! »

نطق (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية الكلمة فى حزم صارم ، بعد أن استمع إلى الرئيس ، وهبَّ واقفًا ، وهو يضيف :

ـ المقدَّم (نور) ليس مجرَّد رجل يمكننا التضحية به ، من أجل (مصر) ، دون أن تكون لدينا أدلة دقيقة وحاسمة ، تؤكِّد أنه المسئول عما حدث .

مطَّ الرئيس شفتيه ، ولوَّح بكفه ، قائلاً :

ـ مدير مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، يؤكِّد أنه المسئول عن نوبات الجنون المفاجئة ، التى أدت إلى شلل وحدة الاتصالات العسكرية الفائقة ، وتدمير قاعدة المقاتلة التجريبية ، بل ويحذِّر من حدوث كارثة أمنية رهيبة ، لو لم نتخذ هذا القرار ، فى أسرع وقت ممكن .

هزَّ (أمجد) رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لا يمكننى الاقتناع بهذا أبدًا .

تنهَّد الرئيس ، وهو يقول فى أسف :

ـ أنا أيضًا أعجز عن هذا ، ولكن الأمر أخطر من أن نعتمد فيه على المشاعر الشخصية وحدها .. إننا نتحدَّث عن أمن وسلامة (مصر) يا (أمجد) ، وأنت خير من يدرك ، ما الذى يعنيه هذا .

شد (أمجد) قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ عملى السابق فى المخابرات ، يجعلنى لا أتردَّد لحظة واحدة ، فى اتخاذ أى قرار ، مهما بلغت صعوبته ، من أجل (مصر) ، ولكن الواقع أننا أمام أمر لم يُحسم بعد ، وقضية ربما توجد وسائل أخرى للتعامل معها ، والسيطرة عليها ، كما أن الشخص ، المطلوب التخلُّص منه ، هو بطل التحرير ، وقاهر الغزاة[*] ، والرجل الذى يدين له العالم كله ، بعد اللّه (سبحانه وتعالى) ، بحريته ، وقدرته على استعادة حضارته وأمنه واستقراره[**] ، ولا أحد سيغفر لنا ، لو اتخذنا إجراءً واحدًا خاطئًا بشأنه .

(★) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٤٠) .

(★★) راجع قصة (حصن الأشرار) .. المغامرة رقم (٨٢) .

تنهَّد الرئيس مرة أخرى ، وقال :

ـ ما الذى ينبغى أن نفعله إذن ؟!

صمت (أمجد) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ نستعين بالفريق .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يعتدل ، متسائلاً :

ـ أى فريق ؟!

شد (أمجد) قامته مرة أخرى ، وهو يجيب فى حزم أكثر :

ـ فريق (نور) .

وتراجع الرئيس بحركة حادة ، واتسعت عيناه بكل الدهشة ، وقد بدا له الجواب عجيبًا !!

عجيبًا بحق !!

وفى نفس اللحظة ، التى راح فيها الرئيس يناقش مستشاره الأمنى ، حول ما يعنيه بجوابه ، كان أحد ممرضى قسم العناية المركزة يدلف إلى حجرة المتابعة ، قائلاً :

ـ معذرة أيها السادة ، ولكنه موعد الدواء .

أجابه أحد الطبيبين فى توتر :

- وماذا تريدنا أن نفعل ؟! اذهب واعطه إياه يا رجل .. هيا !

بدا الممرض متوترًا ، وهو يغمغم :

- لا بأس .. أردت التأكُّد من أن هذا لا يتعارض مع ما تفعلونه هنا فحسب .

قالها ، واتجه إلى حجرة (نور) ، والطبيب الآخر يقول فى عصبية :

- ماذا أراد هذا الغبى منا بالضبط ؟! هل تصوَّر أننا سنؤجل موعد الدواء ، لأى سبب كان .

فرك (أكرم) عينيه ، فى إرهاق شديد ، وهو يغمغم :

- لا عليكما .. الرجل أراد التيقن فحسب .

هتف الأوَّل :

- ولماذا فى هذه المرة ؟! المفترض أن ...

استوقفته (سلوى) بإشارة صارمة من يدها ، وهى تقول فى عصبية :

- أليس من المفترض أن تنعم هذه المنطقة بالهدوء .

تبادل الطبيبان نظرة متوترة ، قبل أن يغمغم أحدهما :

- معذرة يا سيِّدتى .. نعدك ألا يتكرَّر هذا أبدًا .

قالت فى صرامة :

- سيكون هذا أفضل بالتأكيد .

نطقتها ، فى نفس اللحظة التى اقترب فيها ذلك الممرض من فراش (نور) الغارق فى غيبوبته العميقة ، وهو يرتجف فى توتر ، مستعيدًا تلك الأوامر ، التى تلقاها من الدكتور (سمير) شخصيًّا ..

« لا تتردَّد ، واحقنه بتلك المادة السامة ، فى عروقه مباشرة .. » ..

« إنك تفعل هذا من أجل الوطن .. » ..

« من أجل (مصر) .. » ..

كان يعرف جيدًا ما فعله (نور) من أجل وطنه ، ولكنه اقتنع تمامًا بأن بقاءه على قيد الحياة قد يعنى الدمار لـ (مصر) كلها ..

الدمار له ..

ولعائلته ..

ولأسرته كلها ..

لذا ، فمن الضرورى أن يرحل (نور) ..

أن يموت ، وينزاح عن الطريق ، ليفسح المجال لـ (مصر) ..

ومستقبل (مصر) ..

« عجبًا ! .. أجهزة الرصد الحيوية توحى بأن (نور) يمر بمرحلة توتر .. » ..

نطقتها (سلوى) فى قلق شديد ، وهى تراقب شاشة الرصد الحيوية ، والشاشة المشتركة لأجهزتها ، فاعتدل (أكرم) ، فى إجهاد متوتر ، وهو يسألها :

ـ أهى نفس المؤشرات السابقة ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تجيب فى توتر:

ـ كلاً .. المؤشرات السابقة كانت فائقة ، أما هذه المؤشرات ، فأجهزتى تشير إلى أنها تتناسب مع المؤشرات ، التى يبرزها المخ ، فى حالات التوتر ، أو القلق من خطر قادم .

غمغم (أكرم) فى توتر :

ـ خطر قادم .

نطقها ، ثم رفع عينيه بحركة حادة ، إلى ذلك الممرض ، الذى غرس إبرة المحقن بالفعل ، فى عروق (نور) ..

إبرة السم ..

القاتلة ..

★ ★ ★



٤ـ الأعمـــــاق ..

ضحكة ساخرة وحشية ، جلجلت فى أعماق مخ (نور) ، فى تلك اللحظة الرهيبة من حياته ..

ضحكة حملت صوت ذلك المسخ الرهيب ، قبل أن يقول :

ـ نهاية لم تكن تتوقَّعها أيها المقدَّم .. قومك يسعون للقضاء عليك ، باعتبارك خطرًا يتهدَّد وجودهم .

أجابه (نور) فى توتر :

ـ إنهم يفعلون هذا بلا وعى .. يتصورون أنهم يقتلوننى من أجل أمن وسلامة (مصر) .

قال ذلك الصوت الوحشى فى أعماقه :

ـ بالضبط .. هذا ما خطَّطت له ، وسعيت إليه منذ البداية . أن تصبح من وجهة نظرهم عدوًّا ، لا يطيب العيش إلا بالقضاء عليه .

وبوسيلة ما ، كان (نور) يدرك أنه على حق ..

بل وكان يشعر بالخطر ، الذى يشق طريقه إليه ..

لم يكن جسده قد خرج من غيبوبته العميقة بعد ، إلا أن جزءًا من عقله كان يعى ..

ويدرك ..

ويشعر ..

لا أحد يدرى كيف فعلها ذلك المسخ ؟!

كيف زرع جزءًا من كيانه فى أعماق مخه ؟!

كيف ؟!

بل وما من نظرية علمية معروفة ، يمكن أن تفسِّر الحالة ، التى وضع (نور) فيها !

حالة الوعى ..

واللاوعى ..

وحتى كيف استخدم خلايا مخه ؛ لإطلاق تلك الطاقة الفائقة المسيطرة ، التى كانت تنطلق من مخه المزدوج ؟!

كل هذه التساؤلات دارت فى عقل (نور) ، على الرغم من غيبوبته ، وتلك الإبرة تنغرس فى جسده ، وتستعد لإطلاق السم فى عروقه ..

وبكل توتره ، هتف (نور) :

ـ هل تدرك أن مصرعى سيعنى مصرعك بالتالى ؛ لأنك تكمن فى أعماق مخى ؟!

أطلق المسخ ضحكة أخرى ساخرة ، فى تلافيف مخ (نور) ، قبل أن يقول :

ـ لا تقلق نفسك بهذا الأمر .. لقد اتخذت كل ما يلزم بشأنه .

لم يفهم (نور) ما الذى تعنيه ، أو يمكن أن تعنيه هذه العبارة ، إلا أنها ملأت نفسه بقلق عارم ، وجعلته يقول فى توتر :

ـ لو مسست شعرة واحدة من الـ ...

قاطعه المسخ بصوته الرهيب الوحشى ، الذى بدا وكأن صداه يدوى فى كل ركن من مخه المحتقن :

ـ لا مجال لترديد هذه التهديدات أيها المقدَّم ، فلحظاتك فى هذه الدنيا أصبحت محدودة .. محدودة للغاية .

قالها ، وأطلق ضحكاته المخيفة ، عبر مخ (نور) ، فى حين انعقد حاجبا هذا الأخير ، وراح يعتصر مخه ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

فى لحظة واحدة ، وبخبرة طويلة فى القتال ، ومواجهة عصابات الشوارع ، أدرك (أكرم) ما يحدث أمامه بالضبط .

أدرك أن ذلك الممرض قد تم تجنيده بوسيلة ما ؛ للقضاء على (نور) ، قبل أن يستيقظ من غيبوبته العميقة ..

ودون أن يضيع لحظة أخرى إضافية ، انتزع مسدسه ، صارخًا :

ـ توقف أيها الوغد .

أطلق الطبيبان شهقة ذعر ، وسقط أحدهما أرضًا ، فى حين تراجع الآخر فى عنف ، حتى ارتطم بالأجهزة خلفه ..

أما (سلوى) ، فقد صرخت مذعورة :

ـ ماذا حدث يا (أكرم) ؟! ماذا حدث ؟!

ولم يجب (أكرم) تساؤلها ..

لم يكن لديه الوقت ليفعل ..

فتلك الإبرة السامة كانت مغروسة فى عروق (نور) بالفعل ، وكل ما يحتاج إليه الأمر هو ضغطة واحدة ، ينتهى بعدها أمر (نور) ..

لم يدر حتى كيف أدرك هذا أو استوعبه ، إلا أنه وثب نحو باب حجرة المتابعة ، وحطم رتاجه بضربة قوية من قدمه ، متجاهلاً صرخة (سلوى) ، وهو يعدو ليتجاوز ذلك الممر الضيق ، الذى يقود إلى باب حجرة (نور) ..

ولأن الوقت أضيق من أن يفقد منه جزءًا من الثانية ، فقد رفع مسدسه ، وهو يعدو بكل قوته ، وأطلق رصاصاته نحو الجدار الزجاجى للحجرة ، مستهدفًا ذلك الممرض الخائن ..

وهنا ، ومع رفع مسدسه ، وقبل حتى أن تنطلق رصاصاته ، التقطت أجهزة (س ـ ١٨) بالغة التطوّر الموقف كله ..

وكل ما رآه هو واحد من فريق (نور) ، يندفع نحو حجرة هذا الأخير ، وهو يستعد لإطلاق رصاصاته ..

وفى جزء من عشرة أجزاء من الثانية ، تيقّن برنامج (س ـ ١٨) من هوية (أكرم) ، ومن طبيعة مسدسه ، الذى صنفه كسلاح قاتل بدائى ..

وفى الجزء الثانى ، فحص برنامجه ذلك الموقف المعقّد .

فمن الضرورى أن يحمى (نور) من كل خطر ..

ومن الضرورى أيضًا ألا يؤذى أى فرد ، من أفراد الفريق ..

وتحقيق الأمرين معًا بدا مستحيلاً ..

من الناحية النظرية ..

لذا ، فقد استغرق برنامج (س ـ ١٨) سبعة أعشار من الثانية ؛ لدراسة الموقف ..

وفى العشر الأخير من الثانية ، تحرّك لتنفيذ ما توصل إليه ..

وبوثبة فاقت كل تصوُّر ، اعترض (س ـ ١٨) طريق الرصاصات ، وتركها ترتطم بجسده الآلى المنيع ، وترتد عنه فى عنف ..

ومع تلك الحركة المباغتة ، صرخ (أكرم) فى غضب :

ـ (س ـ ١٨) ؟! ماذا تفعل ؟!

أما ذلك الممرض ، فقد استدار بكل ذعر الدنيا ، وحدّق فى (س ـ ١٨) ، الذى تحرّك لأوّل مرة ، منذ بدأ فى حماية (نور) ، وانطلقت من حلقه شهقة هلع ، عندما أدرك طبيعة الموقف كله ..

لقد انكشف أمره ..

و (أكرم) يحاول منعه ..

و (س ـ ١٨) يتصوَّر أنه يدافع عن سيِّده (نور) ..

ومع اضطرابه الشديد ، لم يدر الممرض لحظة ، ما الذى ينبغى عليه أن يفعله ، ثم لم تلبث كلمات الدكتور (سمير) أن دوت فى عقله ..

« إنك تفعلها من أجل (مصر) .. » ..

« من أجل (مصر) .. » ..

« من أجل (مصر) .. » ..

ومع كل الحماس ، الذى فجَّره اسم (مصر) ، فى أعماق الرجل ، توارى ذعره وتوتره خلف موجة من الحزم والإصرار ، جعلته يستدير ليمسك المحقن مرة أخرى ، فصرخ (أكرم) فى مرارة ، وهو يحاول عبثًا الإفلات من حصار (س ـ ١٨) :

ـ لا .. لا تفعلها ..

ولكن الرجل حتى لم يسمعه ، وهو يضغط المحقن بكل قوته ، ويدفع السم فى عروق وجسد (نور) ، و ..

وانهار كيان (سلوى) ..

تمامًا ..

★ ★ ★

« أسرع بالله عليك .. أسرع .. » ..

هتف (أمجد صبحى) بالعبارة ، محاولاً حث سائق السيارة على الإسراع ، فى قلب شوارع (القاهرة) الجديدة ، إلا أن السائق بدا مرتبكًا وسط الزحام ، وهو يجيب :

ـ الشارع مزدحم تمامًا يا سيِّدى ، ولا يمكننى تجاوز الإشارات الرقمية الأليكترونية ؛ فالسيارة ستتوقَّف آليًا عندئذ .

لم يكن المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية يدرك السبب الحقيقى ، الذى جعله يستحث السائق على الإسراع ، فى تلك المرحلة بالذات ، إلا أن إنذارًا غامضًا قد انطلق فى أعماقه بغتة ، وجعله يشعر أن (نور) فى خطر .

فى خطر داهم ..

ولأنه لم يجد أى تفسير منطقى لهذا ، غدا الأمر أقرب إلى حاسة خفية ، يكتسبها فى المعتاد رجال المخابرات ، مع

مواجهاتهم المستمرة للخطر ، وخبراتهم الطويلة فى التصدى له..

وكرجل مخابرات سابق ، واجه فى حياته الحافلة عشرات المخاطر ، وتصدى لعمالقة أجهزة المخابرات المعادية ، ومنظمات الجاسوسية العنيفة ، كان من الطبيعى أن يكتسب تلك الحاسة ..

وأن يثق فيها ..

إلى أقصى حد ..

لذا ، فدون أن يضيع لحظة واحدة ، هتف بالسائق :

ـ تنحَّ جانبًا ، وغادر السيارة .

ارتبك الرجل أكثر ، وهو يغمغم :

ـ ولماذا يا سيِّدى .

لم يكن (أمجد) قد انتظر جوابه هذا ، وهو يدفع جسده فى مرونة ، لم يفقدها مع تقدّمه فى العمر ، من المقعد الخلفى إلى المقعد الأمامى ، قائلاً بكل الصرامة :

ـ قلت لك : غادر السيارة .

ضغط السائق فرامل السيارة ، وغادرها بأقصى سرعة ممكنة ، وعندما التفت خلفه ، أدهشه أن يجد (أمجد) فى مقعد القيادة ، وهو ينطلق بالسيارة بالفعل ، وكأنما كان هناك منذ البداية ..

أما (أمجد) نفسه ، فقد ضغط دوّاسة الوقود ، وقفز بالسيارة إلى الأمام ، وإطارتها تطلق صريرًا مخيفًا ، قبل أن تتجاوز الطريق الرئيسى ، وتثب فوق الإفريز الواسع على جانبه ، ثم تنطلق بسرعة مخيفة ..

وبضغطة زر ، أطلق (أمجد) أبواق السيارة ، التى جعلت المارة يبتعدون عن الإفريز فى فزع ، ويفسحون له الطريق ، وهو ينطلق ، ويسحب مسدسه التقليدى ، فى الوقت ذاته ..

ومن خلفه ، رآه السائق يهم بتجاوز إشارة التحكُم المرورية الرقمية ، فغمغم فى توتر شديد :

ـ الإشارات الرقمية ستوقفه .. لن يمكنه تجاوزها أبدًا .

قالها ؛ لأنه لم يكن يعرف (أمجد صبحى) جيدًا ..

فرجل المخابرات السابق ، والمستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، كان شخصًا من معدن خاص للغاية ..

شخص إذا ما انطلق ، وحدد لنفسه هدفًا ، فلن يمكنك إيقافه أبدًا ..

حتى بإشارات إليكترونية رقمية ..

ففى الوقت الذى ينطلق فيه بسرعة ، مطلقًا أبواق الأمن فى سيارته ، صوَّبت يده اليسرى فوهة مسدسه ، نحو بقعة خاصة فى الإشارة التى يقترب منها .. ثم أطلق النار ..

وبدقة مدهشة ، أصابت رصاصته ذلك اللاقط الرقمى الصغير ، الذى يتحكَّم فى العلاقة الإليكترونية ، بين الإشارة والسيارة ، وحطمته بصوت مكتوم ، قبل أن يتجاوز هو الإشارة بسيارته ، بتلك السرعة التى أصابت المارة جميعهم بذعر لا محدود ..

كان يعلم أنه يكسر عشرات القوانين المدنية بما يفعله ، إلا أن ذلك الهاجس المخيف فى أعماقه ، بشأن مصير (نور) ، كان يتزايد ..

ويتزايد ..

ويتزايد ..

و ...

ومن خلفه ، انطلقت أبواق سيارات الشرطة ..

وفى السماء ، ظهرت حوَّامات مكافحة الإرهاب ..

وعبر مكبِّر صوتى قوى ، انبعث صوت قائد الحوَّامة الأولى فى صرامة :

ـ أنت تخرق القانون ، وتثير موجة من الفزع .. استسلم وقف إلى جانب الطريق ، وإلا اضطررنا لإطلاق النار .. هذا هو الإنذار الأوَّل والأخير ..

تجاهل (أمجد) ذلك التحذير الصارم ، وهو يطلق رصاصة جديدة من مسدسه ، منحته فرصة عبور إشارة تحكم رقمية أخرى ، فهتف قائد الحوَّامة الأولى فى حزم صارم غاضب عنيف :

ـ فليكن .. أطلقوا النار .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط قادة الحوَّامات أزرار الإطلاق ، فى آن واحد ..

وهوت حزم الليزر على سيارة (أمجد) ..

مباشرة ..

★ ★ ★

ما بين صدور الأوامر من المخ ، وقدرة الأطراف على وضعها موضع التنفيذ ، توجد فجوة صغيرة للغاية ، تبلغ أجزاء ضئيلة من الثانية ، ويطلق عليها العلماء اسم (المعادلة العصبية)(*) ..

وتلك المعادلة ، تختلف من إنسان إلى آخر ، وفقًا لذكائه ، وخبراته ، وما تلقاه فى حياته من تدريبات ، وربما ما واجهه من مشكلات أيضًا ..

وعندما اتخذ ذلك الممرض قراره ، بحقن (نور) بالمادة السامة ، التى سلمه إياها الدكتور (سمير) ، بدأت معادلته العصبية عملها ..

وبسرعة تقترب من سرعة الضوء ، انطلق القرار من مخه إلى يده ، التى تأهَّبت لحقن السم فى عروق رجل المخابرات العلمية ..

بل لقد بدأت حقنه بالفعل ..

ولكن قرارًا كهذا ، من الطبيعى أن يؤثِّر ، ليس فى المخ وحده ، ولكن فى الجسد كله ..

بلا استثناء ..

(*) حقيقة ..

فمع الانفعال والإثارة ، أطلقت الغدة فوق الكلوية هرمون الأدرينالين ، الذى سرى فى العروق ، فتلاحقت الأنفاس ، وتسارعت ضربات القلب ، و ...

والتقط (س ــ ١٨) كل هذا ..

التقطه بأجهزته ، بالغة الحساسية والدقة والتعقيد ، و ...

ووثب ..

كان جدار حجرة (نور) مصنوع من زجاج مضاعف ، بالغ القوة والصلابة ، إلا أن (س ــ ١٨) اخترقه بمنتهى العنف ، وانقضَّ على ذلك الممرض ، وانتزعه من مكانه ، قبل أن يكمل حقن السم فى عروق (نور) ، ثم ألقاه عبر الجدار المحطَّم ، ليرتطم بجدار حجرة المتابعة ، ويسقط أرضًا .

وفى هلع ، هتف أحد الطبيبين :

ــ رباه ! إنه ينهار .

هتافه جعل (سلوى) تدير عينيها ، بمنتهى الرعب والهلع ، إلى شاشة الرصد ، التى بدت عليها معدلات (نور) الحيوية ، وهى تنهار ..

وتنهار ..

وتنهار ..

صحيح أن السم لم يسر كاملاً فى جسده ، إلا أن المقدار الذى تسلل إلى عروقه ، كان كافيًا لسحب الحياة من كيانه ..

وبسرعة ..

« إنها النهاية .. هل لاحظت هذا ؟ » ..

تردَّد الصوت الساخر فى عقل (نور) ، الذى لم يدر كيف يمر جسده بتلك الحالة المزدوجة ، من الوعى واللاوعى ! ، إلا أنه قال فى صرامة :

ـ لا تبع فراء الدب قبل صيده .

أطلق صوت المسخ ضحكة ساخرة فى عقله ، قبل أن يقول :

ـ متحذلق ، حتى فى لحظاتك الأخيرة أيها المقدَّم .. صحيح أنك قد أرسلت استغاثة عقلية ، بكل ما اكتسبته من طاقتى ، إلى كل من يمكنهم إنقاذك ، إلا أنه من الواضح أن هذا لم يفلح .. ألا تشعر بما يصيب كيانك كله ؟!

كان محقًّا تمامًا فى قوله هذا ، فقد بدأ الظلام ينتشر حول (نور) ، بدت الصورة أمامه مهتزة مشوَّشة ، وتزداد شحوبًا فى كل لحظة ..

حتى ضحكات المسخ الوحشية الساخرة ، التى تتردَّد فى أعمق أعماق عقله ، راحت تخفت ..

وتخفت ..

وتخفت ..

وكان لابد وأن يعترف (نور) بالحقيقة ..

المسخ على حق ..

إنها النهاية ..

نهايته ..

★ ★ ★

من أبرز التطوَّرات ، التى شهدها القرن الحادى والعشرين ، فى المجال الأمنى والعسكرى ، ابتكار وسائل التصويب الرقمية بالغة الدقة ، التى يستحيل معها ـ تقريبًا ـ على أية آلية عسكرية متطوِّرة ، ألا تصيب هدفها ، ثابتًا أو متحركًا ..

ومهما بلغت سرعته ، أو بلغ تعقيد مساره ..(*)

لذا فقد انطلقت حزم أشعة الليزر ، من حوَّامات مكافحة

(★) حقيقة .

الإرهاب ، لتصيب سيارة (أمجد صبحى) المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ، بمنتهى الدقة..

وفى الظروف العادية ، كان ينبغى أن يعقب هذا انفجارًا مدويًا ، تتحوَّل بعده السيارة إلى فتات ، وتتناثر شظاياها على مساحة واسعة من الأرض ..

ولكن المدهش أن هذا لم يحدث أبدًا !!

فعلى العكس تمامًا ، ارتطمت حزم الأشعة بالسيارة ، التى لم تتوقف عن انطلاقها لحظة واحدة ، ثم توهج جسمها كله ، وتلاشى الوهج فى لحظات ..

وبكل دهشة الدنيا ، هتف قائد أحد الحوَّامات :

ـ رباه ! كيف فعلها .

انعقد حاجبا قائد الحوامات فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ السيارة مزوَّدة ، بنظام امتصاص طاقة دفاعى ، وهذا لا يمكن أن يتوفَّر إلا فى ...

بتر عبارته ؛ ليفكِّر فى الأمر لحظة ، ثم لم يلبث أن ضغط زر جهاز الاتصال بالقيادة العليا ، قائلاً فى توتر :

ـ صلنى بأى مسئول فى مؤسسة الرياسة .. فورًا .

ولم يكد يتم النداء ، حتى أتاه صوت أحد قادة الحوَّامات ، عبر جهاز الاتصال الداخلى المحدود ، وهو يتساءل :

ـ والآن ماذا سنفعل ؟!

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يجيبه فى صرامة متوترة :

ـ سننتظر .

« أى قول هذا ؟! » ..

هتف الرئيس بالعبارة فى توتر ، وهو يستمع إلى مدير أمنه ، قبل أن ينهض من خلف مكتبه ، مستطردًا :

ـ هل فعل (أمجد) هذا ؟!

أومأ مدير الأمن برأسه إيجابًا فى أسف ، وهو يقول :

ـ نعم يا سيادة الرئيس .. لقد تجاوز الإشارات الرقمية ، وحطَّم مجساتها برصاصاته ، وأثار موجة هائلة من الرعب فى وسط العاصمة .

تساءل الرئيس ، فى توتر أكثر :

ـ وأين هو الآن ؟!

أجابه مدير الأمن فى سرعة :

ـ توقف منذ لحظات ، فى ساحة انتظار المستشفى العسكرى .

غمغم الرئيس :

ـ المقدّم (نور) .

خُيِّل لمدير الأمن أنه لم يستوعب الكلمة ، فقال فى حذر :

ـ معذرة يا سيِّدى الرئيس ، ولكننا نتحدَّث عن السيِّد (أمجد) .

أجابه الرئيس ، فى صرامة متوترة :

ـ أعلم هذا .. مر الحوَّامات بالتراجع ، وابحث عن صيغة لتبرير الأمر إعلاميًّا .. سننسب ما حدث إلى إرهابى مجهول ، حاول الفرار من رجال الأمن ، وسيبدو تدخل قوات مكافحة الإرهاب هنا مقنعًا ومنطقيًّا .

تساءل مدير الأمن فى حذر ، وبلهجة توحى بعدم رضاه عن كل هذا :

ـ وماذا عن السيِّد (أمجد) ؟!

صمت الرئيس بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ إننى أثق تمامًا فى (أمجد) ، وفى أنه لم يفعل ما فعل ، إلا لسبب قوى .

قال مدير الأمن فى ضيق :

ـ إذن فسنتجاوز عن كل ما فعله .

تطلَّع إليه الرئيس مباشرة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أخبرنى يا رجل .. لو أنك خيَّرت بين تلك الخسائر ، ومستقبل (مصر) كلها ، فماذا ستختار ؟!

والتقى حاجبا مدير الأمن ..

ولم يحر جوابًا ..

أى جواب ؟!

★ ★ ★

لم تكد سيارة (أمجد) تتوقَّف ، فى منطقة انتظار المستشفى العسكرى ، حتى وثب هو منها ، وانطلق يعدو نحو المبنى الأيسر للمستشفى ، حيث وحدة العناية المركزة ..

ودون انتظار لإبراز التصاريح أو بطاقات الهوية ، وثب عبر الحاجز المعدنى ، وأكمل طريقه عدوًا ، وجندى الحراسة يصرخ من خلفه :

ـ رباه ! ماذا تفعل يا هذا ؟!

ثم اختطف بندقيته ، وضغط زر الإنذار الداخلى ، وهو يواصل فى انفعال :

ـ اقتحام غامض .. استعدوا للمواجهة .

وعلى الرغم من أن (أمجد) قد التقط النداء ، إلا أنه لم يتوقف لحظة واحدة ، وهو يعدو عبر ممرات المبنى ..

ويعدو ..

ويعدو ..

ومن خلفه ، انطلق جنود الأمن ، وأحدهم يصرخ :

ـ توقف يا هذا ، وإلا أطلقنا النار .

كان يعلم أنهم لن يتردَّدوا فى إطلاق النار بالفعل ، وفقًا لما لديهم من أوامر ، ولما تلقوه من تدريبات ، ولكن شيئًا ما فى أعماقه كان ينبئه بأنه ليست لديه ثانية واحدة يضيعها ..

لذا فقد قرَّر المجازفة ..

وواصل عدوه ..

ومن خلفه ، صرخ أحد الجنود :

ـ هذا لم يكن مجرَّد تهديد .

قالها ، وهو يتوقَّف ، ويصوِّب بندقيته الليزرية نحو (أمجد) فى دقة شديدة ..

ثم ضغط الزناد ..

وانطلقت الأشعة ..

وفى ألم شديد ، شعر (أمجد) بالشعاع المار يخترق ظهره ، من الناحية اليمنى ، ويعبره إلى صدره ، الذى تفجَّرت منه الدماء فى عنف ، لتغرق قميصه وسترته ..

ولكن العجيب أنه لم يتوقَّف ..

إرادته الفولاذية جعلته يحتمل الإصابة ، ويواصل العدو عبر الممر ، على نحو أصاب الجنود بدهشة شديدة ، وأحدهم يغمغم مبهورًا :

ـ رباه ! أى رجل هذا ؟!

جمَّدت المفاجأة الجنود ثانية واحدة ، كان (أمجد) يحتاج إليها تمامًا ، لينحرف إلى حجرة المتابعة ، التى اقتحمها والدماء تغمر صدره ، فشهق الطبيبان ، وهما يتراجعان فى ذعر ، فى حين هتف (أكرم) فى انفعال :

ـ سيِّد (أمجد) ؟! ماذا تفعل هنا ؟!

حدَّق الممرض فى وجه (أمجد) فى ارتياع ، ثم وثب محاولاً الفرار ، فقفز إليه (أكرم) ، وصاح وهو يلكمه بكل قوته :

ـ إلى أين أيها الوغد ؟!

كانت اللكمة من القوة ، حتى أنها دفعت الممرض إلى الخلف ثلاثة أمتار كاملة ، ليرتطم بالجدار ، ويسقط فاقد الوعى ..

وفى توتر شديد ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها الجنود حجرة المتابعة ، هتف (أمجد) بـ (سلوى) ، وهو يتطلَّع إلى جدار الحجرة الزجاجى المحطَّم :

ـ ماذا عن (نور) ؟!

انهارت (سلوى) تمامًا ، وَهى تجيب :

ـ لقد .. لقد مات .

وعلى شاشة الرصد الحيوية ، كانت كل مؤشرات (نور) قد توقفت عند خط واحد ..

خط الصفر .

★ ★ ★

٥ ـ العالم الآخر ..

« أبى ؟! مستحيل !! » ..

تفجَّر الهتاف ، من بين شفتى (نشوى) ، وهى تثب من فراشها ، مستطردة فى ارتياع :

ـ ولماذا لم يخبرنى أحد منذ البداية ؟! لماذا ؟!

حاول زوجها (رمزى) تهدئتها ، وهو يقول :

ـ والدتك رأت أن إصابة عنقك لن تسمح لك بـ ...

قاطعته (نشوى) فى حدة مريرة :

ـ إصابة عنقى ؟! إنه أبى يا (رمزى) .. أبى ...

أسرعت ترتدى ملابسها ، وهى تضيف ، وعيناها مغرورقتان بالدموع :

ـ وعندما يتعرَّض للخطر ، لابد وأن نهبّ جميعًا لإنقاذه ، مهما كان الثمن .

اعتدل (رمزى) ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .

ثم أسرع يرتدى ملابسه بدوره ، وهو يتابع فى توتر :

ـ سأجرى اتصالى بمكتب رعاية الأطفال ؛ ليرسل من يرعى الصغيرين ، وسأصحبك إلى هناك .

انسابت الدموع من عينيها ، وهى تقول بصوت مرتجف :

ـ ادع اللّه فقط أن نصل فى الوقت المناسب ؛ فقلبى يحدثنى أن أبى يواجه خطرًا رهيبًا هذه المرة .

ولم يعلّق (رمزى) على عبارتها ..

فهو أيضًا كان يمتلك الشعور نفسه ..

الشعور بأن (نور) يواجه الخطر ..

كل الخطر ..

★ ★ ★

« انتهى أمرك يا صاح .. » ..

دوت العبارة فى عقل (نور) ، بصوت المسخ الساخر الشامت ، والذى بدا باهتًا للغاية ، مع انحسار المؤشرات الحيوية ، بتلك السرعة الرهيبة ..

وعلى الرغم من يقينه أنها النهاية ، قال (نور) فى صرامة :

ـ ليس بعد .

أتاه صوت المسخ ، فى أعماق عقله ، وهو يقول ساخرًا :

ـ حقًّا ؟!

أجابه (نور) ، فى صرامة أكثر :

ـ عقلانا يتبادلان الحديث والتحدّى ، وهذا يعنى أن عقلى على الأقل ، لم يمت بعد .

قال المسخ شامتًا :

ـ إنها مسألة ثوان .

قال (نور) فى سرعة :

ـ من يدرى ؟!

أجابه المسخ ، فى سرعة أكبر :

ـ أنت ..

ثم استدرك ساخرًا :

ـ ألا تشعر بانحسار الروح من جسدك ، وبدنوك من العالم الآخر .

أجاب (نور) ، بمنتهى الحزم والصرامة :

ـ كل ما أشعر به هو أن رفاقى من حولى ، وأن الأمل فى رحمة اللّه (عزّ وجلّ) ، باق دومًا .

سأله فى سخرية :

ـ وهل تعتقد أن هذا قادر على إنقاذك ؟!

أجاب (نور) فى قوة ، على الرغم من الضعف والوهن ، الذين يتسللان إلى أعماقه رويدًا رويدًا :

ـ لن أفقد الأمل مطلقًا .

بدا له وكأن ذلك المسخ الرهيب يخترق الضباب ، الذى بدأ ينتشر حوله ، وهو يقول بصوت عميق :

ـ ولكنك تنتقل بالفعل إلى عالم آخر .. عالم يختلف تمامًا ، عن عالمك الذى تعرفه .

كان الظلام كله يتبدَّد بالفعل ، ويحل محلّه ضوء هادئ ، وإحساس جميل بالراحة ، وصوت المسخ يزداد عمقًا :

ـ هيا .. قل وداعًا لرفاقك ، وعالمك ، وكل ما عرفته فى حياتك كلها .. هيا ..

لم يجب (نور) هذه المرة ..

لم يستطع أن يجيب ..

ولم يرغب أيضًا فى أن يفعل ..

فلسبب ما ، استرخى كيانه كله ، وبدا له من الممتع أن ينساب إلى ذلك العالم الجديد .. العالم الآخر ..

وفجأة ، عاد جسده ينسحب ، بعيدًا عن ذلك الضوء الهادئ .

وراح صوت المسخ يبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

« ماذا تفعل بالضبط ؟! » ..

ألقت (سلوى) السؤال على (أمجد) ، فى حزن مضطرب ، والدموع تغرق وجهها ، فى نفس اللحظة التى راح (أكرم) فيها يشرح الموقف لجنود الأمن بالمستشفى ، ويسلمهم ذلك الممرض ، فأجابها (أمجد) فى حزم متوتر ، وهو ينتزع قلمًا من جيبه ، وينزع غطاءه ، ثم يضغط قاعدته :

ـ إنه ترياق عام ، مضاد لمعظم أنواع السموم ، كنا نحتفظ به دومًا ، أيام عملنا فى المخابرات .

إثر ضغطته ، برزت إبرة صغيرة ، من موضع سن القلم ، فأسرع يغرسها فى ذراع (نور) ، وهو يقول :

ـ هيا يا (س ـ ١٨) .. سأحتاج إلى تعاونك .

كان برنامج (س ـ ١٨) المتطوَّر قد استوعب الموقف كله ، وأدرك أن (أمجد) يسعى لإنقاذ سيِّده ، فقال بصوته الآلى الجاف ، تلك العبارة الوحيدة المسجَّلة ، فى برنامجه اللغوى القديم :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

اندهشت (سلوى) لاستجابة (س ـ ١٨) المستسلمة ، ولكن قلبها خفق فى أمل ، عندما رأت (أمجد) يحقن (نور) بالترياق ، وهو يقول لـ (س ـ ١٨) فى حزم :

ـ الترياق سيؤجِّل الخطر ، ولكن لن ينهيه .. قلب (نور) يحتاج إلى تدليك خاص ، ودماؤه ستحتاج إلى تنقية شاملة ، لإبعاد السم عنها .

بدت الدهشة على وجه (سلوى) ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هل تظنه يستوعب هذا ؟!

أجابه (أمجد) بمنتهى الحزم والاقتضاب :

ـ نعم .

أما (س ـ ١٨) نفسه ، فقد توقف لثانية واحدة ، استغلتها برامجه لتحليل وفهم الموقف كله ، قبل أن يتحرَّك ..

ويبدأ عمله ..

وفى هدوء آلى ، أزاح (أمجد) بعيدًا عن جسد (نور) الفاقد الوعى ، ثم أخفى الجسد كله بجسده الضخم ، وذراعاه يتحركان بسرعة مدهشة ..

ولأنها عاجزة عن الرؤية ، هتفت (سلوى) فى عصبية :

ـ ما الذى يفعله ؟!

أجابها (أمجد) فى حزم :

ـ ما فيه صالح (نور) حتمًا .

مالت برأسها ، محاولة رؤية ما يفعله (س ـ ١٨) ، إلا أنها لم تكد تفعل ، حتى رأت بريقًا ينبعث ، ورأت جسد (نور) ينتفض بعنف ..

بمنتهى العنف ..

وهتفت (سلوى) مذعورة :

ـ ماذا يفعل ؟!

وقبل حتى أن يكتمل هتافها ، انبعث البريق مرة ثانية .

وثالثة ..

ورابعة ..

وفى كل مرة كان جسد (نور) ينتفض ..

وينتفض ..

وينتفض ..

ومن فرط توتره ، انتزع (أكرم) مسدسه من غمده ، صائحًا :

ـ لو أنه أصاب (نور) بمكروه ، فسوف ...

قبل أن يتم عبارته ، صرخ أحد طبيبى العناية المركَّزة :

ـ انظروا .

التفت الكل بحركة حادة إلى حيث يشير ، وتعلَّقت عيونهم بشاشة الرصد الحيوى ، التى بدت عليها إشارات قلب (نور) ، وهى تعود لرسم منحنياتها التقليدية ، فى بطء ، راح يتسارع ..

ويتسارع ..

ويتسارع ..

حتى بلغ معدلاته الطبيعية ..

وبكل فرحة الدنيا ، صرخت (سلوى) :

ـ (نور) !! حمدًا للَّه .. حمدًا للَّه .

وفى تأثُّر شديد ، ارتجفت شفتا (أكرم) ، وغمغم وهو يلتفت إلى حيث جسد (نور) :

ـ (س ـ ١٨) .. إننا ندين لك بـ ...

انقطع حديثه دفعة واحدة ، واتسعت عيناه بكل الدهشة ، وهو يحدِّق فيما يفعله الأطلنطى الآلى ..

فمن طرفى سبابتيه ، خرجت أنبوبتان دقيقتان ، انغرست إحداهما فى عروق ذراع (نور) اليمنى ، والأخرى فى عروق ذراعه اليسرى ..

وكانت دماء (نور) تنساب بينهما ، فى سرعة هادئة ..

ومرة أخرى ، تفجَّرت عينا (سلوى) بالدموع ، وهى تقول :

ـ إنه .. إنه يعمل على تنقية دمائه من السم .

قالتها ، وأخذت تبكى فى حرارة ، غير مصدِّقة أن زوجها قد نجا ، فى حين غمغم أحد الطبيبين مبهورًا :

ـ هذا الآلى مدهش بحق .

هزَّ زميله رأسه ، قائلاً بنفس الانبهار :

ـ بل هو معجزة علمية ، على كل المستويات .

أما (أمجد) ، فلم ينبس ببنت شفة ..

فما يراه أمامه بدا له بالفعل أشبه بالمعجزة ..

معجزة أنقذت (نور) من موت محقَّق ..

موت سعى إليه شخص ما ..

أو وجهة ما ..

أو ..

« أين ذلك الممرض ؟! » ..

ألقى السؤال فى حزم ، فأجابه (أكرم) فى توتر ، دون أن يرفع عينيه عما يفعله (س ـ ١٨) :

ـ خارج الحجرة ، مع جنود الأمن .. إنهم يتحفظون عليه ، حتى ننظر فى أمره .

التقى حاجبا (أمجد) ، واتجه فى حزم نحو باب الحجرة ، ولكن أحد الطبيبين لحق به ، وهو يقول فى توتر :

ـ سيِّد (أمجد) .. أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل ؛ فصدرك ينزف فى غزارة ، والدماء تغرق قميصك كله .

هتف به (أمجد) فى صرامة :

ـ فيما بعد .. فيما بعد .

كانت لهجته صارمة آمرة ، حتى أن الطبيب قد تجمَّد فى مكانه ، والتفت إلى زميله ، مغمغمًا فى توتر :

ـ كيف يمكنه أن يحتمل هذا ؟!

لم يسمع (أمجد) عبارته ، وهو يغادر حجرة المتابعة ، ويتجه فى خطوات قوية ، على الرغم من إصابته ، نحو ذلك الممرض ، ويسأله فى صرامة :

ـ لماذا فعلت هذا ؟!

كان الممرض ينوى التشبُّث بالصمت والإنكار ، إلا أنه لم يكد يسمع عبارة (أمجد) ، بكل ما حملته من صرامة آمرة ، حتى وجد لسانه ينفلت قائلاً ، بصوت ارتجف بمنتهى الشدة :

ـ إننى .. أنفذ الأوامر .

جذبه (أمجد) من سترته فى قسوة ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يسأله ، بنفس القسوة الصارمة :

ـ أوامر من ؟!

انطلق فى عقل الرجل إنذار قوى ، عند هذه النقطة ، واستعاد كلمات الدكتور (سمير) الصارمة ..

« إياك أن تبيح بسر ما تفعل .. » ..

« لن تجد دليلاً واحدًا ، يمكن أن يثبت موقفك .. » ..

« أملك الوحيد فى أن يظل أمرى سرًا ؛ حتى يمكننى حمايتك .. » ..

« أملك الوحيد .. » ..

« الوحيد .. » ..

« ليس هذا من شأنك .. » ..

هتف الرجل بالعبارة الأخيرة ، مستنفرًا كل ما تبقى فى كيانه كله من شجاعة ، على الرغم من تلك الارتجافة ، التى شملت جسده كله ، من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، فانعقد حاجبا (أمجد) ، فى صرامة لم يواجه الرجل مثلها قط ، مما ضاعف من ارتجافته ، وهو يقول :

ـ اسمع يا هذا .. أنا أعرف حقوقى جيدًا ، و ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، هوت قبضة (أمجد) على أنفه بلكمة كالقنبلة ، انتفض لها جسده كله ، وشعر بالدماء الحارة تغمر فكه وذقنه ، و (أمجد) يكرِّر سؤاله ، فى صرامة :

ـ من أمرك أن تفعلها ..

شعر الرجل بروحه تنسحب من جسده ، وهو يلوِّح بذراعيه ، مقاومًا غيبوبة هاجمته فى عنف ، ومحاولاً التشبُّث بأى شىء حوله ، وهو يقول ، والدماء تتناثر مع كلماته :

ـ ليس .. ليس هذا من حقك .

قبل حتى أن تكتمل كلماته ، تلقَّى لكمة أخرى فى معدته ، التى بدا وكأنها ستثب من حلقه ، و (أمجد) يقول ، وقد بلغت صرامته مبلغها :

ـ يمكننى أن أواصل هذا إلى ما لا نهاية ، حتى أحصل منك على جواب شاف .

هوى جسد الرجل أرضًا ، ولكن أصابع (أمجد) الفولاذية أمسكت بشعره ، وأجبرته على النهوض ، فهتف بصوت مختنق ، أقرب إلى البكاء :

ـ هـ .. هذا تجاوز قانونى .. سأتقدَّم بشكوى ، و ...

قاطعته فوهة مسدس باردة كالثلج ، التصقت بأسفل ذقنه ، مع صوت (أمجد) ، الذى يقول فى غضب :

ـ ضد من ؟! هل يوجد دليل واحد ، على أن أحدًا قد مسَّك بسوء ، بخلاف ما أصابك ، ونحن نمنعك من قتل المقدَّم (نور) ، بطل التحرير ؟! هل رأى أحدكم شيئًا يا رجال ؟!

كان جنود الأمن يتطلعون إليه فى انبهار ، غير مصدقين أنه يستطيع أن يفعل كل ما يفعله ، وبكل القوة والثبات ، مع تلك الإصابة العنيفة فى صدره ، لذا فقد أجابوا جميعهم ، فى آن واحد :

ـ مطلقًا امتقع وجه الممرض ، وشعر بآلام مختلفة ، تنتشر فى كل مكان فى جسده ، وهو يتمتم :

ـ ولكن .. ولكنى لا أملك الجواب .

قال (أمجد) ، وهو يضم قبضته فى غضب :

ـ أتملك فقط محاولة قتل بطل قومى أيها الخائن .

هتف الممرض ، وهو يحاول مسح الدماء عن وجهه :

ـ لا .. لست خائنًا .. لقد فعلت هذا من أجل (مصر) .

قال (أمجد) فى حدة :

ـ من أجل (مصر) ؟! ومن أقنعك بأن (مصر) يمكن أن تطالبك بالقيام بعمل حقير كهذا ؟!

برز (أكرم) من الحجرة ، فى هذه اللحظة ، وهو يقول فى حماس :

ـ حمدًا للَّه .. (نور) استعاد كل معدلاته الحيوية المنتظمة .

انتهت عبارته بشهقة مكتومة ، وهو يحدِّق فيما يحدث أمامه ، فى حين تجاهل (أمجد) الموقف تمامًا ، وكأنما لم يسمع حرفًا واحدًا ، وهو يقول للممرض ، بكل صرامة وقسوة الدنيا :

ـ اسمع يا هذا ، لو أنك قد أقدمت على هذه الحقارة بالفعل من أجل (مصر) ، فهذا يعنى أنك مستعد للموت من أجلها أيضًا .

امتقع وجه الممرض فى شدة ، وارتجفت أطرافه فى قوة ، وخاصة عندما جذب (أمجد) إبرة مسدسه ، وهو يضيف :

- الآن .

لم تراود الكل ذرة واحدة من الشك ، فى أنه يقصد كل حرف نطق به ، وبالذات ذلك الممرض ، الذى جحظت عيناه عن آخرهما ، وهو يلوّح بذراعيه ، صارخًا :

- لا .. لا .. أريد الاتصال بالمخابرات العلمية .. لقد تلقيت أوامرى منهم .

وكان الجواب صدمة للكل ..

صدمة عنيفة ..

للغاية ..

* * *

«لم تفلح خطتك .. أليس كذلك ؟! » ..

قالها (نور) فى هدوء ظافر ، وهو يواجه ذلك المسخ الرهيب ، الجالس القرفصاء ، وسط تلك البقعة المظلمة من عقله ، فرفع خصمه عينيه المتألقتين إليه ، وهو يقول فى صوت عميق مخيف :

- إنها مجرَّد جولة ، لايمكنك أن تستنتج منها نهاية المباراة أيها المقدَّم .

قال (نور) بنفس الهدوء :

ولكنها ألهمتنى أسلوب مقاومتك .

تألَّقت عينا المسخ ، وهو يقول :

- خطأ أيها المقدَّم .. كل ماتوصَّلت إليه هو وسيلة واحدة ، لمقاومة أسلوب واحد من أساليبى ، إلا أنك مازلت تجهل حتى كيف أمكننى التواجد فى أعمق أعماق عقلك ، بعد مصرعى مرتين ، ولا كيف لاينتهى تواجدى أبدًا .

أجابه (نور) فى برود :

- بل أعتقد أننى قد استوعبت هذه النقطة الأخيرة ، إلى حد ما .

رأى عقله عينا المسخ تتألقان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ووسط حالته الفريدة ، من الوعى الداخلى ، واللاوعى الخارجى ، بدا له أنه يشعر بغضبه ، وهو يسأله :

- وما الذى استوعبته بالضبط ؟!

بذل جهدًا لإخفاء ما بأعماقه ، وهو يجيب :

ـ فيروس .

تساءل المسخ فى حذر ، فى أعمق أعماقه :

ـ أى فيروس ؟!

أجاب (نور) ، وتركيزه الداخلى يتزايد ويتزايد :

ـ فيروس عقلى ، أشبه بفيروسات الكمبيوتر .. برنامج خاص ، له قواعد تختلف عن كل ما تعرفه ، أمكنك زرعه ، فى عقل كل من اتصلت به قبل مصرعك ، فى المرة الأولى أو الثانية ، ومهمته أن يظل كامنًا ، ساكنًا ، حتى لحظة تم تحديدها مسبقًا ، أو لحظة تتناسب مع حتمية انطلاقه.

قال المسخ ، عبر خلايا مخه :

ـ ولكنك تتحاور معى مباشرة الآن .

قال (نور) فى سرعة :

ـ أو ربما أتحاور مع نفسى ، متصورًا أننى أتحاور معك ، بسبب الخلل الذى صنعه فيروسك العقلى فى مخى ، أو ...

« هذا لن يفيدك .. » ..

قاطعته تلك العبارة القاسية ، التى تردَّدت فى عقله ، قبل أن يتابع المسخ ، فى غضب شديد :

ـ فحتى لو كان ما تواجهه مجرَّد فيروس عقلى كما أسميته ، فهو لن يتوقَّف ، قبل أن يحقق انتقامى الشامل منك .

قال (نور) فى سرعة :

ـ إذن فهو فيروس ، لا يعمل إلا بعد مصرعك .

تجاهل ذلك الصوت العقلى عبارته تمامًا ، وواصل بنفس الغضب الصارم :

ـ العقل البشرى أقوى كثيرًا مما يعرفه عنه أفضل وأمهر علمائكم وخبرائكم ، وأكثر رجال التاريخ عبقرية ، لم يستخدم أكثر من عشرين فى المائة من طاقاته .

وارتفعت نبرة صوته ، وهو يضيف فى شراسة :

ـ أنا وحدى ، عبر تاريخكم كله ، أطلقت كل طاقات عقلى .

قال (نور) ، فى سخرية مقصودة :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فقد هزمناك مرتين .

خُيِّل إليه أنه قد سمع زمجرةِ مخيفة ، فى أعمق أعماق تلافيف مخه ، قبل أن يقول ذلك الصوت الرهيب :

ـ هزمتمونى بأجسادكم وليس بعقولكم .

قال (نور) فى سرعة وتحد :

ـ خطأ .. هزمناك بأجسادنا ، عبر خطة وضعتها عقولنا ، وعلومنا ، وخبراتنا .

بدت له عينا المسخ ، وقد تضاعف بريقها مرتين ، وهو يقول :

ـ والآن سأهزمكم أنا بعقلى وحده .. بل بجزء ضئيل منه ، وبعد مصرعى مرتين .. هل يمكنك أن تتصوَّر نصرًا يفوق هذا ؟!

شعر (نور) بقلق حقيقى ، حاول أن يخفيه خلف ستار من الحزم ، وهو يقول :

ـ إنه لم يتحقَّق بعد .

أجابه المسخ فى شراسة :

ـ ولكنه سيتحقق .. وبوساطتك أنت .

لم يُعلِّق (نور) على عبارته هذه المرة ، وإنما انطلق عقله يبحث عن جواب للعبارة ، إلا أن المسخ أجابها بنفسه ، وهو يقول بشراسة أكبر :

ـ سأعمل بنفس الأسلوب ، الذى تعمل به الفيروسات الحقيقية ، وليس فيروسات الكمبيوتر .. سأسعى للسيطرة على خلايا مخك كلها ، وإطلاق كل الطاقات الكامنة فيها ، ثم أستغل تلك الطاقات ، لتنفيذ ضربة تلو أخرى ، ضد المواقع العسكرية الحيوية ، ورفاقك سيرصدون الطاقة الهائلة ، التى ستنطلق من عقلك ، وسترسمها أجهزتهم الإليكترونية ، والرقمية ، والحيوية ، وسيدركون ، إن عاجلاً أو آجلاً ، أنك المسئول عن كل ما يحدث ، وكذلك سيدرك القادة ، والمسئولون ، وكل من يمكنهم اتخاذ القرار الرسمى ، بتكرار ما حدث اليوم ، وإعدامك على نحو واضح صريح ؛ لإنقاذ (مصر) مما يمكن أن تتردى إليه بسببك .

مرة أخرى ، لم ينبس (نور) ببنت شفة ، وإن أدرك فداحة ما ينتويه ذلك المسخ الرهيب بشأنه ..

«نعم .. هذه هى خطتى بالضبط .. » ..

قالها المسخ عبر عقله ، وكأنما قرأ ما يدور فيه ، ثم أضاف فى شماتة :

ـ سأمحو سمعتك وتاريخك أوَّلاً ، ثم أنهى حياتك بعدها .. تمامًا .

ومع نهاية عبارته ، انطلقت ضحكته الرهيبة ..

الظافرة ..

والوحشية ..

جدًّا .

★ ★ ★



٦ ـ انتقـــــام ..

احتقن وجه الدكتور (سمير) فى شدة ، وهو يقف أمام القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قائلاً فى عصبية :

ـ ولماذا أنا ؟! ذلك الممرض قال : إنـه قد تلقى أوامره من المخابرات العلمية ، ولم يذكر اسمى بالتحديد .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ولكن الحديث حول هذا الأمر دار هنا فقط ، فى حجرة خاصة مؤمَّنة ، على أعلى مستوى ، بحيث لا يمكن أن يعرف من خارجها حرفًا واحدًا مما قيل داخلها ، والحديث دار بينى وبينك ، وأنا لم أذكر حرفًا واحدًا منه ، خارج هذه الجدران ، فمن يمكن أن يفعلها إذن ؟!

أجابه الدكتور (سمير) ، فى عصبية أكثر :

ـ يمكن أن يكون الجواب المنطقى هو أنا ، لو أننا نواجه ظروفًا عادية ، ولكن الواقع أننا نواجه نوعًا من السيطرة العقلية الفائقة ، مثلما أكَّد كل علمائنا وخبرائنا ، وهذا يعنى أن ذاكرتنا لم تعد ملكًا لنا ، حتى نتجاوز هذه الأزمة .. تلك السيطرة العقلية الفائقة ، يمكن أن تنتزع المعلومات ، من

أعمق تلافيف أمخاخنا ، أو زرع معلومات زائفة فيها .. أو بمعنى أدق ، يمكنها أن تعرف ما ناقشناه ، دون أن يبوح أحدنا بحرف واحد منه ، كما يمكنها أن توهم ذلك الممرض المسكين بأنه قد تلقى أوامر منا ، بالقيام بمحاولة اغتيال المقدَّم (نور) ، دون أن يتلقى تلك الأوامر فعليًّا .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ أهذا ردك الرسمى ؟!

أجابه الدكتور (سمير) فى حدة :

ـ بالطبع .. وسأؤيِّده بتقارير وشهادات العلماء والخبراء أيضًا .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليه فى توتر ، قبل أن يقول فى صرامة محتدة :

ـ هل تعلم أن السيِّد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ، هو الذى يتولَّى التحقيق بنفسه ، فى هذه الواقعة ، على الرغم من إصاباته الشديدة .

قاوم الدكتور (سمير) ذلك التوتر ، الذى سرى فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ نعم .. أعلم هذا .

سأله القائد الأعلى :

ـ وما زلت تصرّ على ردك هذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

التقط القائد الأعلى نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ فليكن .. فلتسر السفينة حيث تدفعها الرياح .

شد الدكتور (سمير) قامته ، على الرغم من توتره ، وهو يقول :

ـ هذا لا يقلقنى ، فلست مدانًا فيما حدث .. على الإطلاق .

« كاذب .. » ..

نطق (أمجد صبحى) الكلمة فى صرامة ، أمام رئيس الجمهورية ، الذى لوَّح بالتقرير الذى أرسله مركز الأبحاث العلمية ، قائلاً :

ـ إنه ليس قوله وحده .. علماء وخبراء المركز كلهم أيَّدوا الاحتمال ورجحوه .

أشار (أمجد) بسبَّابته ، وشعر بآلام مبرحة فى صدره ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا ما أقنعهم به ، ولكنه كاذب ، ويسعى لإخفاء مسئوليته عن الجريمة .

ألقى الرئيس التقرير على مكتبه ، وهو يقول :

ـ ولكن الأمر يبدو لى منطقيًّا يا (أمجد) ، وتم حدوثه من قبل بالفعل ، أثناء المواجهات مع ذلك الخصم مزدوج المخ ، والذى كاد يفنى العالم بأكمله ، لولا ...

قاطعه (أمجد) فى توتر :

ـ لولا المقدَّم (نور) ، الذى يحاولون الآن القضاء عليه ، بحجة أن هذا من أجل (مصر) .

سأله الرئيس فى اهتمام :

ـ ولماذا لا تكون تلك القوى العقلية ، هى المسئولة بالفعل عن محاولة اغتيال (نور) ؟!

تطلَّع إليه (أمجد) لحظة ، ثم انتزع من جيبه قنينة صغيرة ، وضعها أمامه فى حزم ، وهو يقول :

ـ وماذا عن هذه ؟!

تطلَّع الرئيس إلى القنينة فى حذر ، متسائلاً :

ـ وما هذه بالضبط ؟!

أجابه (أمجد) فى سرعة :

ـ عينة من دم (نور) ، حصلت عليها من (س ـ ١٨) ، وتحوى ذلك السم ، الذى حاولوا قتل (نور) به .

ثم مال على مكتب الرئيس ، متابعًا :

ـ لقد أرسلتها إلى المعمل الخاص بنا ، والذى أكَّد أن السم المستخدم هو أحد السموم التخليقية الحديثة جدًّا ، المحصور استخدامها على أجهزة مخابراتنا وحدها .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يتساءل فى توتر :

ـ أى جهاز مخابرات بالضبط ؟!

اعتدل (أمجد) ، وهو يقول :

ـ لقد لجأت إلى شبكة المعلومات الرئاسية ، ووجدت أن الجهة الوحيد ، التى قل مخزونها من ذلك السم التخليقى ، بمقدار جرام واحد ، هى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بمنتهى الصرامة :

ـ الرجل متورِّط يا سيادة الرئيس .. متورِّط حتى النخاع ، ولابد من اتخاذ موقف صارم بشأنه .. وفى أسرع وقت ممكن .

وازداد انعقاد حاجبى الرئيس ..

وشعر بخطورة ما تواجهه (مصر) ..

شعر به بقوة ..

★ ★ ★

« هذا أمر أعجز عن تفسيره .. » ..

نطقت (نشوى) العبارة فى توتر ، وهى تراجع المنحنيات الحيوية ، التى سجلتها شاشة الرصد لوالدها ، خلال الساعات السابقة ، ثم أشارت بسبَّابتها إلى نقطة منها ، قائلة :

ـ هنا بلغت المنحنيات أوجها .. وهنا أيضًا .. وهنا ..

وهزَّت رأسها فى توتر ، قبل أن تضيف :

ـ من الواضح أن أبى يواجه أزمة عنيفة ، وهو غارق فى غيبوبته العميقة ، ولابد وأن نتعاون لإخراجه منها ، مهما كان الثمن .

قالت أمها (سلوى) فى إشفاق :

ـ ولكنك ما زلت تعانين من إصاباتك ، و ...

قاطعتها (نشوى) فى انفعال ، وكأنها لم تسمعها :

ـ دعينا نستخدم برنامجى الجديد ، لإعادة تحليل تلك التغيرات ، على نحو أكثر دقة ووضوحًا .

غمغمت (سلوى) ، وهى تلقى نظرة على جسد (نور) ، عبر الجدار الزجاجى ، الذى تم استبداله منذ قليل :

ـ فليكن .

راقبها (رمزى) و (أكرم) والطبيبان فى صمت ، وهما توصلان أجهزتهما ببعضها ، ثم تابعوا تقافز أصابع (نشوى) على أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، والذى يفوق أقرانه بجيل كامل على الأقل ، وزفر (أكرم) فى توتر ، وهو يغمغم :

ـ هل سنكتفى بمراقبتهما ، أم أنه هناك ما يمكننا فعله ؟!

أجابه (رمزى) فى هدوء :

ـ وما الذى يمكن أن نفعله ، فى أمر ما زلنا نجهل ماهيته بالضبط ؟!

مطَّ (أكرم) شفتيه فى توتر ، وهو يقول :

ـ كم أبغض مثل هذه المواقف ، التى يعجز مسدسى عن حسمها .

ابتسم (رمزى) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ المسدس ليس حلاً لكل مشكلة يا (أكرم) .

قال (أكرم) ، فى شىء من العصبية :

ـ لا تقل لى : إن العقل يفوق رصاصاته .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وواصل مراقبة (نشوى) و (سلوى) ، وهو يقول :

ـ ولِمَ لا ؟! العقل كاد يهزم بالفعل كل أسلحة العالم ، ثم إنه من اخترع الرصاصات ، وليس العكس .

سأله (أكرم) ، فى مزيج من التوتر والعصبية :

ـ لماذا أشعر بالأمان فى وجود مسدسى إذن ؟!

اتسعت ابتسامة (رمزى) ، وهو يلتفت إليه ، قائلاً :

ـ لأن هذه شخصيتك يا (أكرم) .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يسأل :

ـ أهذا مدح أم ذم ؟!

انفرجت شفتا (رمزى) ، فى محاولة لقول شىء ما ، إلا أن (سلوى) هتفت فجأة :

ـ رباه ! لقد عادت .

أدار الكل عيونهم فى سرعة ، إلى شاشة الرصد الحيوى ، وخفقت قلوبهم فى عنف ، عندما رأوا تلك المنحنيات ، التى تقافزت مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم وثبت بغتة إلى ذروتها ..

أو ما يتجاوز ذروتها ..

وكان هذا يعنى حدوث ضربة ثالثة ..

قوية ..

وعنيفة ..

إلى حد مخيف ..

★ ★ ★

التقى حاجبا قائد قـاعدة الصواريخ الدفاعيـة ، فـى توتـر شديد ، وهـو يراجـع تلـك الأوامـر ، التـى تلقاهـا مـن وزارة الدفاع ، نحو سرى ، وعاجل للغاية ..

الأوامـر التـى تقتضـى رفـع درجـة الاستعداد إلـى الحـد الأقصى ، لحين صدور تعليمات أخرى ..

فمـن الناحيـة العسكرية ، لـم يكـن هـذا ليحـدث ، إلا إذا ما واجهت (مصر) خطرًا داهمًا ..

خطر الحرب ..

أو الغزو ..

الكلمة الأخيرة أعادت إلى ذهنه ذكريات بغيضة سابقة ..

ذكريات الاحتلال ..

والدمار ..

وانحسار الحضارة(*) ..

ذكريات أسوأ عصر واجهته الأرض ..

فى تاريخها كله ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وبحركـة عنيفـة إلـى حد مـا ، هزَّ قـائد القـاعدة رأسـه ، وكأنما يحاول نفض تلك الذكريات الأليمة عنه ، ثم ضغط زر الاتصال الخاص ، قائلاً فى صرامة :

ـ أريد عقد اجتماع لقادة الوحدات الفرعية ، فورًا .

أنهى الاتصال ، دون أن ينتظر تأكيدًا باستقبال أوامـره ، ثم تراجع فى مقعده ، وراح يفكِّر فى الأسباب ، التـى دعت إلى إصدار مثل هذا القرار ..

ودون تفكير طويل ، ربط عقله بين تلك الأوامر ، وما أصـاب وحدة الاتصالات العسكرية الفائقة ، والقاعدة الجوية التجريبية ..

هناك محاولة للتخريب حتمًا ..

أو خيانة عظمى ..

أو ربما هى مقدمات انقلاب عسكرى ..

وربما مزيج من كل هذا ..

ومن المؤكَّد أنه لن يتوصَّل إلى الحقيقة المطلقة أبدًا ..

وعلى الرغم من ثقته فى هذا ، استغرق طويلاً فى التفكـير ، حتى سمع دقات على باب مكتبه ، فاعتدل قائلاً فى صرامة :

ـ من ؟!

دلف جندى الأمن إلى حجرتـه ، وهـو يـؤدى التحيـة العسكرية ، قائلاً :

ـ قادة الوحدات الفرعية ينتظرون الإذن بالدخول يا سيِّدى .

وانفرجت شفتا القائد ، ليجيب الجندى ، ولكنه توقف فجأة ، واتسعت عيناه على نحو عجيب ، وتجمَّدت نظراته ، كما لو أنه قد تحوَّل بغتة إلى تمثال من الرخام البارد !!

وفى توتر ، سأله الجندى :

ـ هل تسمح لهم بالدخول يا سيِّدى ؟!

لم يبد أن القائد يسمعه ، أو حتى يراه ، وهـو يـدور بحركة جافة إلى جهاز الكمبيوتر المجاور ، ثم يبدأ فى التعامل مع أزراره ، فى آلية مخيفة ..

وفى حذر أكثر توترًا ، غمغم الجندى :

ـ سيِّدى .

ولم يحصل على جواب ، فى هذه المرة أيضًا .

ولثوان ، وقف الجندى مبهوتًا ، يتابع حركة أصابع القائد ، على أزرار الكمبيوتر ، دون أن يدرى ما الذى يحدث

بالضبط ، ثم لم يلبث أن نفض توتره كله ، وعاد إلى القادة الفرعيين ، الذى يقفون خارج حجرة مكتب قائدهم ..

كان يرغب فى أن يشرح لهم ما يحدث بالداخل ، إلا أنه وجدهم جميعًا شديدى الاهتمام ، بما يحدث فى الخارج ..

فأمام عيونهم جميعًا ، كانت قاعدة أحد الصواريخ القوية تتحرَّك ، لتوجِّه الصاروخ إلى وضع عمودى تمامًا ، وأحدهم يقول فى توتر :

ـ رباه ! ما الذى يحدث بالضبط ؟!

قال آخر فى عصبية ، وهو يتابع الصاروخ ، الذى استقر رأسيًّا بالفعل :

ـ ومن يتحكَّم فى هذا الأمر .

قال جندى الحراسة بكل توتره :

ـ لعله القائد .. إنه يتعامل مع الكمبيوتر على نحو عجيب .

مع آخر حروف كلماته ، اشتعل الوقود أسفل الصاروخ بغتة ، فانتفضت أجسادهم جميعًا ، وهتف أحدهم :

ـ لا يمكن أن يطلق الصاروخ بهذه الزاوية العمودية .

هتف آخر :

ـ هذا يعنى أنه سيبلغ أقصى ارتفاعه ، ثم يعود ليهوى على رءوسنا جميعًا .

لم يكد يتم هتافه ، حتى تضاعف اشتعال الوقود ..

ثم انطلق الصاروخ بالفعل ..

عموديًّا ..

ومع انطلاقه ، تفجَّرت موجة من الذعر ، فى أعماقهم جميعًا ، وصاح الجندى فى رعب :

ـ إنه القائد .. إنه القائد ..

صيحته ولَّدت موجة أخرى من الاضطراب والتوتر ، فهتف أحد القادة الفرعيين ، وهو يندفع نحو حجرة القائد :

ـ أمامنا ثلاث دقائق ، قبل أن يعود الصاروخ ، لينسف القاعدة كلها ، والأمل الوحيد فى استخدام الصواريخ الجديدة ، المضادة للصواريخ ؛ لتفجير الصاروخ فى الجو ، قبل أن يصل إلينا .

تبعوا جميعًا زميلهم هذا ، واقتحموا حجرة القائد ، الذى

التفت إليهم بنفس جموده المخيف ، وهو يضغط زرًّا صغيرًا ، يجاور الكمبيوتر ..

وشهق أحد القادة الفرعيين ، هاتفًا فى ذعر :

ـ لا .. ليس هذا .

وسحب أحدهم مسدسه ، و ...

وضغط القائد ذلك الزر ..

ودوت فى القاعدة كلها فرقعة مكتومة ، صرخ أحدهم بعدها :

ـ رباه ! لقد نسف نظام التحكم كله .. تراجعوا بسرعة .. لم يعد أمامنا سوى الفرار من هنا ، قبل أن يعود الصاروخ .

فى تلك اللحظة بالتحديد ، وبينما يتراجعون ، متخلِّين عن قائدهم ، الذى عاد إلى ذلك الجمود الرخامى المخيف ، ظهر ذلك الشخص ، الذى يعرفونه جميعًا ، فى ركن الحجرة ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ظافرة ..

وكانت هذه أقوى مفاجأة واجهتهم فى هذا اليوم العصيب .

على الإطلاق ..

★ ★ ★

«كان المقدَّم (نور) يا سيادة الرئيس .. » ..

قالها أحد قادة الوحدات الفرعية ، فى توتر بالغ ، وهو يقف فى وضع الانتباه العسكرى ، أمام رئيس الجمهورية ، فى حضور (أمجد) ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، والدكتور (سمير) ، فهتف هذا الأخير فى عصبية :

ـ أرأيتم ! هذا ما اتفق عليه كل الشهود .

أشار إليه (أمجد) إشارة صارمة بالصمت ، ثم ربَّت على كتف القائد الفرعى ، قائلاً :

ـ أشكرك على استجابتك يا رجل .. عد إلى قيادتك المركزية ، وسنتصل بك ، إذا ما احتجنا إلى استكمال شهادتك .

أدى الرجل التحية العسكرية ، فى قوة لم تخف توتره واضطرابه ، قبل أن يدور على عقبيه ، ويغادر الحجرة كلها ، وما أن أغلق الباب خلفه ، حتى عاد الدكتور (سمير) يندفع قائلاً :

ـ أرأيت يا سيادة الرئيس .. لم أكن مخطئًا فيما ذهبت إليه .. المقدَّم (نور) هو المسئول عن كل ما يحدث .

قال (أمجد) فى صرامة :

ـ ربما اتفقت كل أقوال الشهود ، إلا أن هذا لن ينفى أنه لم يغادر حجرة العناية المركَّزة لحظة واحدة ، منذ تم وضعه فيها .

هتف الدكتور (سمير) :

ـ لم أقل : إنه قد فعلها بنفسه ، فما رآه الرجال كان مجرَّد صورة وهمية له .

قال (أمجد) ، فى صرامة أكثر :

ـ الصورة الوهمية يمكن أن يصنعها أى شخص ، وليس بالضرورة عقل (نور) .

غمغم الرئيس :

ـ هذا صحيح .

ورفع (أمجد) سبابته ، مضيفًا :

ـ بل إن ظهور صورته الوهمية بالتحديد ، يبدو لى دليلاً مؤكدًا ، على أنه ليس المسئول عما يحدث .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابه (أمجد) فى حزم :

ـ لو أن (نور) هو المسئول عما يحدث ، على الرغم من غيبوبته ، فلن يكون من المنطقى أن يعلن عن نفسه ، عبر صورة وهمية بهذا الوضوح .. جميعنا نعرف أنه أذكى من أن يفعل هذا .

اندفع الدكتور (سمير) يقول :

ـ بالطبع ، ولكن فى حالته العادية .. أما فى موقفه هذا ، ومع تلك الإشارات القوية العجيبة ، التى يطلقها عقله ، على الرغم من غيبوبته ، فلا أحد يمكنه أن يعرف ، ما الذى يدور فى أعماقه .

كان حديثه منطقيًا تمامًا ، مما جعل الرئيس ، والقائد الأعلى يتبادلان نظرة قلقى متوترة ، فى حين أشار (أمجد) إلى الدكتور (سمير) ، وهو يقول فى غضب :

ـ لماذا تفعل هذا ؟!

صاح به الدكتور (سمير) فى حدة :

ـ أفعل ماذا ؟!

صاح به فى صرامة :

ـ لماذا تسعى لاستصدار قرار رسمى بإعدام (نور) ؟! ما مصلحتك فى هذا ؟! ولماذا يبدو لى الأمر أشبه بانتقام شخصى ؟!

هتف الدكتور (سمير) غاضبًا ومستنكرًا :

ـ انتقام شخصى ؟! ولماذا أسعى لانتقام شخصى ، من رجل لم ألتق به واعيًا قط ، وكل ما بلغنى عنه هو أنه بطل قومى ؟! إننى أفعل هذا من أجل (مصر) .

صاح به (أمجد) :

ـ وهل طلبت منك (مصر) أن تغتاله بالسم ؟!

لوَّح الدكتور (سمير) بذراعيه كلها فى ثورة ، وهو يصرخ :

ـ لم أفعلها .. لقد أخبرتكم أننى لم أفعلها .. ربما كان المسئول أحد رجال المخابرات العلمية بالفعل ، ولكنه ليس أنا .

صاح (أمجد) :

ـ من إذن ؟!

أجابه بكل الحدة :

ـ أى شخص .. فى وجود قوة مسيطرة عقليًا كهذه ، يمكن أن يكون أى شخص ، حتى الرئيس نفسه .

بدا الغضب على وجه الرئيس ، فتابع الدكتور (سمير) بنفس الحدة :

ـ ولقد حدث هذا من قبل بالفعل .. أليس كذلك ؟!

فى هذه المرة ، انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، دون أن يواصل اتهاماته ..

بل ودون أن ينبس ببنت شفة ..

ففى قوله الأخير ، كان الدكتور (سمير) محقًّا تمامًا ..

من الممكن أن يكون المسئول أى شخص ..

حتّى (نور) نفسه ..

هذا ما دار فى ذهن (أمجد) ، بكل الحزن والمرارة ، وما قفز إلى رأسى الرئيس والقائد الأعلى أيضًا ، فى حين قال الدكتور (سمير) ، وجسده ينتفض من فرط الانفعال :

ـ والآن ماذا سننتظر ، قبل أن نصدر القرار ، الذى

تخشون جميعًا إصداره ؟! الضربة الرابعة ، التى قد تعود بنا قرنًا من الزمان إلى الوراء ؟!

فى هذه المرة ، نجحت كلماته فى إثارة رعبهم إلى أقصى حد ..

فوفقًا لها ، لم يعد (نور) مقاتلاً صنديدًا ، يشعر الكل بالأمن والأمان لوجوده ..

بل صار خطرًا ..

خطر يهدد (مصر) ..

وربما كوكب الأرض كله ..

ومع النظرة الأخرى ، التى تبادلها الرئيس والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، أدرك (أمجد) أن القرار قد تم اتخاذه بالفعل ..قرار التخلُّص من بطل التحرير ..

من (نور) ..

ومع البريق العجيب ، الذى أطلّ من عينى الدكتور (سمير) ، بدا له أنه من المستحيل أن يقف ساكنًا ، وهم يخططون ، أو حتى يفكرون فى أمر كهذا ..

لابد وأن يتدخَّل ..

وبأية وسيلة كانت ..

بل بأى ثمن ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★



٧ ـ بلا أمل ..

فركت (نشوى) عينيها ، فى إرهاق وتوتر ، وهى تراجع نتائج جهازها للمرة الثانية ، قبل أن تقول :

ـ هناك أمر عجيب ، بالنسبة لهذه الإشارات .

سألتها (سلوى) فى اهتمام متوتر :

ـ وما هو ؟!

أشارت (نشوى) إلى شاشة جهازها ، مجيبة :

ـ إنها تبدو للوهلة الأولى ، وكأنها تنبعث كلها من عقل أبى ، ولكن هناك منحنى دقيق ، يبدو بالكاد هنا ، باهتًا للغاية كما ترين ، ولكنه يسير عكس المنحنيات الأخرى كلها .

مالت (سلوى) إلى الأمام تتطلَّع إلى ذلك المنحنى الباهت ، قبل أن تغمغم فى توتر شديد :

ـ هذا صحيح .

اتجه نحوهما (أكرم) ، وهو يتساءل فى قلق :

ـ هل عثرتما على جديد ؟!

أجابته (نشوى) ، وهى تعيد فحص ذلك المنحنى الباهت :

ـ نعم .. ولكننا لم نفهم ما يعنيه .

أوصلت (سلوى) أجهزتها بجهاز (نشوى) مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ أظن أن هذا دورى .

راحت كلتاهما تدرسان ذلك المنحنى ، فى حين سأل (أكرم) (رمزى) فى توتر وعصبية :

ـ هل يمكنك استيعاب ما يفعلاه ؟!

أجاب (رمزى) فى هدوء :

ـ لو أمكننى استيعابه ، لما انضمت (سلوى) و (نشوى) إلى الفريق .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يسأل فى عصبية :

ـ وما المفترض أن يعنيه هذا ؟!

أجابه (رمزى) بنفس الهدوء :

ـ إنهما خبيرتان .

تطلّع إليه (أكرم) لحظة ، فى عصبية متوترة ، قبل أن يسأله ، فى شىء من الحدة :

ـ كيف يمكنك أن تظلّ هادئًا هكذا ، فى مثل هذه الظروف ؟!

صمت (رمزى) بضع لحظات ، ثم أجاب فى خفوت :

ـ من الخطأ أن تحكم على الأمور بظواهرها يا صديقى .

أومأ (أكرم) برأسه ، مغمغمًا :

ـ أنت على حق .

مع آخر حروف كلماته ، دلف (أمجد صبحى) إلى حجرة المتابعة فجأة ، فهتف (أكرم) بمنتهىَ الدهشة :

ـ سيِّد (أمجد) ؟! ما الذى تفعله هنا ، فى هذه الساعة المبكرة ؟! ألا ينبغى أن تستريح قليلاً ، بعد كل ما فقدته مع إصابتك من دماء .

قال أحد الطبيبين فى توتر :

ـ ناهيك عن إصابة رئته اليمنى ، التى ...

ـ كم تحتاجون من وقت ؛ لإخراج (نور) من هنا .

شهق الطبيبان فى ارتياع ، وهتف أحدهما فى هلع :

ـ إخراجه من هنا ؟! هذا مستحيل ! إنه يتلقى علاجًا منتظمًا ، وخروجه من هنا ، يعرض حياته كلها للخطر .

أجابه (أمجد) فى صرامة :

ـ وبقاءه يعنى انتهاء حياته حتمًا .

عبارته أطلقت قنبلة من الذعر فى المكان ، فانتزع (أكرم) مسدسه ، وهو يقول فى غضب :

ـ ومن ذا الذى يجرؤ على مسه بسوء ؟!

أما (سلوى) و (نشوى) ، فقد تبادلتا نظرة مذعورة ، وهتفت الأولى :

ـ ألديك أية معلومات بهذا الشأن يا سيِّد (أمجد) ، أم أنه مجرَّد شعور داخلى ، كما حدث فى المرة السابقة ؟!

أجابها فى سرعة وحزم :

ـ لست أظن المرة السابقة كانت مجرَّد شعور داخلى .

تساءلت (نشوى) مرتجفة :

ـ وماذا عن هذه المرة ؟!

أجابها (رمزى) هذه المرة ، وهو يتطلَّع إلى (أمجد) فى إمعان :

ـ إنه يعرف .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ ولكنه لا يستطيع الإفصاح .

انعقد حاجبا (أمجد) ، وهو يقول فى توتر :

ـ لطالما خشيت الخبراء النفسيين .

ثم استعاد صرامته ، وهو يستطرد :

ـ والآن ، كم تحتاجون من وقت ، لنقله من هنا .

تبادل الطبيبان نظرة متوترة ، قبل أن يجيب أحدهما فى عصبية :

ـ ليس أقل من ساعة .

هزَّ (أمجد) رأسه فى قوة ، وهو يقول ، ملقيًا نظرة متوترة على ساعته :

ـ بطىء جدا .. وسيلة مبتكرة إذن ، فأمامنا تسع دقائق فحسب ، قبل أن يصلوا إلى هنا .

سألته (سلوى) ، فى حذر متوتر :

ـ من هؤلاء .

ضم شفتيه فى قوة ، وكأنما يرغب فى كتمان الأمر ، إلا أنه لم يلبث أن أجاب فى حزم صارم :

ـ كتيبة الإعدام .

شهقت (سلوى) فى ذعر ، وصرخت (نشوى) :

ـ رباه ! أبى .

وانعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، وقد أدرك بخبرته ، أن (أمجد) يخفى سرًا شديد الخطورة ..

أما (أكرم) فقد لوَّح بمسدسه ، هاتفًا :

ـ لو مسوا شعرة واحدة من جسده ، فأقسم أن ..

قاطعه هتاف الطبيب الثانى :

ـ سيارة الطوارئ .

التفت إليه الجميع ، فازدرد لعابه فى صعوبة ، وتابع بكل التوتر :

ـ إنها متأهبة دومًا ؛ للانطلاق فى أية لحظة ، وهى مجهَّزة بكل ما يلزم ، لرعاية رجل فى حالة حرجة ، ويمكنكم استخدامها ، للابتعاد من هنا بأقصى سرعة .

سأله (أمجد) فى لهفة :

ـ وأين نجدها ؟!

ازدرد لعابه مرة أخرى ، وأجاب بنفس التوتر :

ـ يمكننى أن أقودكم إليها .

قال (أمجد) فى سرعة :

ـ ماذا عن مصاحبتنا فيها ؟!

انعقد حاجبا الرجل ، فاستدرك (أمجد) فى حزم :

ـ لرعايته .

أدار الرجل عينيه لحظة ، إلى جسد (نور) ، قبل أن يعتدل ، ويشد قامته ، قائلاً فى حسم :

ـ سيشرفنى هذا يا سيِّدى .

هتف زميله فى حدة :

ـ هل جننت يا رجل ؟! هل ستجازف بحريتك ومستقبلك ، من أجل هذا الـ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، اللكمة القوية ، التى هوت بها قبضة (أكرم) على فكه ، فاتسعت عيناه ، وهوى فاقد الوعى ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية :

ـ الوقت يمضى بسرعة ، ولن نهدره فى مناقشات عقيمة .

تطلَّع إليه الكل فى توتر ، فيما عدا (أمجد) ، الذى قال فى حزم :

ـ فليكن .. هيا .. دعونا لا نضيع الوقت .

اندفع الطبيب ؛ لانتزاع كل ما يتصل بجسد (نور) ، من أدوات الإعاشة والرصد ، وأجهزة القياس الحيوية ، فى حين راحت (سلوى) و (نشوى) تجمعان أجهزتهما فى توتر ، واندفع (أكرم) و (رمزى) لمعاونتهما ، فى حين اتجه (أمجد) بخطوتين واسعتين إلى النافذة ، وألقى نظرة عبرها ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة ، ويغمغم فى عصبية :

ـ يا للسخافة !

استدار إليه (أكرم) فى توتر ، فأضاف :

ـ لقد وصلوا مبكرين .

سرى توتر عنيف بين الجميع ، ولكنه انتزع مسدسه التقليدى من غمده ، ورفعه ، قائلاً فى صرامة :

ـ سأحاول تعطيلهم بقدر الإمكان ، حتى تبتعدوا عن هنا .

تألَّقت عينا (أكرم) ، وهو يندفع نحوه ، ويستل مسدسه بدوره ، قائلاً :

ـ سأعاونك فى هذا .

رمقه (أمجد) بنظرة سريعة ، قبل أن يرفع عينيه إلى الباقين ، قائلاً :

ـ حاولوا أن تتحرَّكوا بأقصى سرعة ممكنة .

قالها ، ثم اندفع مع (أكرم) خارج المكان ..

وبينما يعدوان فى الممر مع مسدسيهما ، سأله (أمجد) فى حزم :

ـ هل تدرك ما تقدم عليه ؟!

أجابه (أكرم) ، فى حزم أكبر :

ـ بالتأكيد .

قال (أمجد) :

ـ ستخسر موقعك فى المخابرات العلمية حتمًا ، وربما تخسر حياتك أيضًا .

أجاب (أكرم) ، وهو يشعر بنشوة عجيبة ، تسرى فى عروقه :

ـ عندئذ أكون قد أديت واجبى ، تجاه قائدى وصديقى (نور) ، الذى تجازف أنت بالمثل من أجله ، دون أن تتردَّد لحظة واحدة .

أجابه (أمجد) فى حزم :

ـ لو انعكس الوضع ، لما تردَّد هو أيضًا فى التضحية بكل شىء فى الوجود من أجلى .

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ هذا هو (نور) .

بلغا معًا نهاية الممر ، فصاح (أمجد) بالمرضى وطاقم المستشفى ، الذى يتواجدون فى القاعة الصغيرة هناك ، وهو يلهث من إصابة رئته :

ـ أخلوا المكان فورًا .. الزموا حجراتكم ومكاتبكم ، فهذا المكان سيواجه أحداثًا عنيفة بعد قليل .

أشارت كلماته الذعر بين الجميع ، فأسرعوا يخلون القاعة بالفعل ، فغمغم هو فى ضيق متوتر :

ـ عجيب أن يقضى المرء عمره كله ، فى محاولة لدرء الخطر عن وطنه ، ثم ينتهى به الأمر إلى إثارة الخوف والذعر فيه .

غمغم (أكرم) ، وهو يجذب مشط مسدسه :

ـ للضرورة أحكام .

مطَّ (أمجد) شفتيه ، متمتمًا ، وهو يحاول السيطرة على أنفاسه :

ـ صدقت .

امتزجت كلماته بوقع الأقدام الثقيلة ، التى تعالت وهى تقترب من تلك القاعة الصغيرة ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وشعر (أكرم) بالتوتر داخله يتصاعد ..

ويتصاعد ..

ويتصاعد ..

وأدهشه كثيرًا أن (أمجد) ظلّ هادئًا ..

متماسكًا ..

حازمًا ..

حاسمًا ..

حتى برز الرجال ..

كانوا خمسة ، فى ثياب مدنية متشابهة ، ويرتدون مناظير داكنة ، على الرغم من تواجدهم داخل المكان ..

ولأنه رجل مخابرات علمية ، فقد تعرّف (أكرم) تلك المناظير على الفور ..

كانت مناظير خاصة ، تساعدهم على وضوح الرؤية ودقة التصويب ، حتى فى حالات الضوء الخافت ، أو انعدام الضوء التام ..

أما أسلحتهم ، فكانت قوية ..

حديثة ..

قاتلة ..

وعلى الرغم مما يمنحهم إياه هذا ، من تفوّق عددى وتقنى ،

فقد تجمّدوا فى أماكنهم ، فور رؤيتهم (أمجد) ، وهو يحمل مسدسه ، وإلى جواره (أكرم) متحفزًا ، ثم لم يلبثوا أن سحبوا أسلحتهم فى سرعة ، وقائدهم يتساءل فى توتر ملحوظ :

ـ سيِّد (أمجد) .. ماذا تفعل هنا ؟! ولماذا تحمل مسدسك ؟!

أجابه (أمجد) فى صرامة :

ـ مهمتكم ألغيت .. عودوا إلى مقركم .

تبادل الرجال نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يقول أحدهم فى عصبية :

ـ معذرة يا سيِّد (أمجد) .. كلنا نشعر نحوك بكل الاحترام والتقدير والتوقير ، ولكننا تلقينا أوامرنا من الرئيس شخصيًا ، بتنفيذ المهمة ، وعدم التراجع عنها ، مهما كانت الأسباب ، ومهما تلقينا من أوامر عكسية ، حتى لو كانت صادرة منه شخصيًا .

أدرك (أمجد) على الفور ، السبب الذى جعل الرئيس يصدر مثل هذه الأوامر ..

وأدرك أيضًا أن الرجال سينفذونها حتمًا ..

ولن يتراجعوا أبدًا ..

مهما كانت العقبات ..

ومهما كان الثمن ..

فلقد دربهم بنفسه ، ويعلم ما الذى صنعوه بهم بالضبط .

لذا ، فقد شد قامته ، وقال فى صرامة :

ـ فى هذه الحالة ، لن تتركوا لى سوى سبيل واحد .

بدا الأسف والأسى واضحين ، فى قسمات الرجال وصوتهم ، وقائدهم يقول :

ـ وأنت أيضًا للأسف يا سيِّدى .. لم تترك لنا سوى سبيل واحد .

مع آخر قوله ، رفع الرجال الخمسة فوهات اسلحتهم بسرعة مدهشة ..

وكذلك فعل (أمجد) و (أكرم) ..

وفى لحظة واحدة ، تحولت تلك القاعدة الصغيرة ، فى مبنى العناية المركزة ، بالمستشفى العسكرى ، إلى ساحة قتال ..

ساحة دموية ..

قاتلة ..

ووحشية ..

* * *

انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، مع دوى الرصاصات ، الذى بلغ مسامعها ، وأثار موجة من الفزع والتوتر ، فى ساحة المستشفى العسكرى ، جعلت سيارة الطوارئ تتحرَّك فى بطء ، نحو بوَّابة الخروج ، ودفعت الطبيب الذى يوصل الأجهزة الحيوية بجسد (نور) إلى أن يقول فى توتر :

ـ أسرع باللَّه عليك .. أسرع .

أجابه (رمزى) فى توتر ، وهو يقود السيارة فى صعوبة ، وسط حالة الفوضى التى أصابت المكان :

ـ الإسراع وسط هذا مستحيل ، وأخشى لو أسرعنا أكثر أن نثير الانتباه والشكوك .

قال الطبيب فى عصبية :

ـ ولو لم نفعل ، سيبدأ نظام الطوارئ عمله ، وسيتم إغلاق كل البوَّابات وتأمينها ، ولن نغادر المكان أبدًا .

انتفض قلب (سلوى) فى صدرها مع كلماتـه ، وهتفت بـ (رمزى) :

ـ أسرع يا (رمزى) .. أسرع .

ضغط (رمـزى) زر أبـواق الطـوارئ فـى السيارة ، فـى نفس اللحظـة التـى ضغط فيهـا دوَّاسـة الوقـود ، فـانطلقت السيارة تشق الزحـام والفوضـى ، نحـو بوَّابـة الخـروج الخلفية ..

كانت إجراءات الطوارئ قد بدأت بـالفعل ، ورجـال أمـن المستشفى يسرعون نحو بوَّاباتها ؛ لتأمين المكان كلـه ، إلا أن (رمزى) زاد من سرعته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتسارعت قلوب الجميع ، مع اقترابه من البوَّابة ..

وخفقت فى عنف ..

واضطربت ..

و ...

وعبر (رمزى) البوَّابة ، فى سرعة كبيرة نسبيًّا ، وهتف فى ارتياح :

ـ حمدًا للَّه .

لـم ينبس أحدهم ببنـت شـفة ، وهـم يلتفتـون خلفهـم ، ويشـاهدون البوَّابـات تُغلق فـى إحكـام ، ثـم انتفـض جسـد الطبيب ، وهو يغمغم :

ـ أخيرًا .

حاول (رمزى) أن يسيطر علـى اضطرابـه ، وأن يسير فى طرقات العاصمة بسرعة قانونية ، حتى لا يلفت الانتباه ، فى حين قاوم الطبيب ارتجافته ، وهو يكمل توصيل الأجهزة الحيوية بجسد (نور) ، قبل أن يقول متوترًا :

ـ الأمر لن يمضى بهذه السهولة ، فسرعان ما سيكتشفون أن سيارة الطـوارئ الأساسية قد اختفت ، وسيبلغون كـل نقاط التفتيش ، وكل رجل شرطة فى (مصر) كلها .

قالت (نشوى) فى عصبية :

ـ المشكلة أنه فور معرفتهم بتورطنا ، سيبحثون فى كل مكان يمكن أن نذهب إليه .

أضافت (سلوى) فى مرارة :

ـ وهم يعرفون كل مقارنا ومنازلنا .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يقول فى حزم :

ـ ليس كلها .

همَّت (سلوى) بسؤاله عما يعنيـه ، إلا أن الجـواب قفز إلى ذهنها بغتة ، وهى تهتف :

ـ بالطبع .. هناك ذلك المقر السرى الجديد ، الذى أعددناه خفية ، بعد مواجهتنا العنيفة مع قراصنة الزمن[*] ..

قالت (نشوى) فى حماس :

ـ هذا صحيح .. لقد أخفينا أمره تمامًا ، بحيث لا يعرفـه سوانا ، فى حالة حدوث أية مواجهة مستقبلية أخرى .

قال الطبيب فى عصبية ، وهو يراقب الطريق بكل القلق :

ـ لو أنه لديكم هذا المكان ، فلنذهب إليه فورًا .

أجابته (سلوى) فى صرامة :

(★) راجع قصة (قراصنة الزمن) .. المغامرة رقم (١٤٠) .

ـ لاحظ أننا نجازف بخسارة مقرنا السرى ، عندما نطلعك على موضعه .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ لن نطلعه .

التفت إليه الكل فى توتر ، وتساءل الطبيب فى هلع :

ـ ماذا ستفعلون بى .. لقد جازفت بمستقبلى كلـه ، من أجل قائدكم ، و ...

قاطعه (رمزى) ، فى حزم متوتر :

ـ سنضع عصابة على عينيك فحسب يا رجل .. اطمئن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلقت أبواق سيارة شرطة من خلفهم ، ثم انبعث بعدها صوت صـارم ، يقول عبر مكبِّر صوتى قوى :

ـ قفا إلى جانب الطريق .. إنه تفتيش قانونى .

وثب التوتر إلى قلوبهم جميعًا فى لحظة واحدة ، وهتفت (سلوى) :

ـ لا .. لا تتوقَّف .

أجابها (رمزى) ، وهو يضغط فرامل السيارة بالفعل :

ـ لو رفضنا التوقّف ، ستطاردنا كل وحدة شرطة ومكافحة إرهاب ، فى (مصر) كلها .

هتف الطبيب :

ـ ولو توقفنا ، سيلقون القبض علينا .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ اسمع يا هذا ، سيارات الطوارئ لا يجوز إيقافها للتفتيش ، إلا فى الحالات القصوى ، وهذا يعنى أن الموقف قد اشتعل إلى أقصى حد ، وفى ظروف كهذه ، المجازفة بالمواجهة ، تكون أهون كثيرًا من المجازفة بمحاولة الفرار .

حاول الطبيب أن يوافقه ..

بل حاول أن يقول شيئًا ..

أى شىء !!

ولكن الاضطراب الشديد ، الذى سرى فى كل ذرة من كيانه ، جعله يكتفى بغمغمة خافتة متوترة :

ـ فلنأمل هذا .

وشعرت (سلوى) بتوتر ، ما بعده توتر ، عندما توقّف (رمزى) إلى جانب الطريق ، فى حين انعقد حاجبا (نشوى) فى شدة ، قبل أن تجذب إليها جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وتنطلق بأصابعها على أزراره فى سرعة ..

وفى حزم ، غادر ضابط الشرطة سيارته ، وتحفّزت يده على مقبض مسدسه ، وهو يتجه إلى سيارة الطوارئ ، فتشبّثت يدا (رمزى) بعجلة القيادة فى آلية ، وراح قلبه يخفق ..

ويخفق ..

ويخفق ..

حتى وصل إليه ضابط الشرطة ، وسأله فى صرامة :

ـ ما وجهتك بالضبط ؟!

أجابه (رمزى) ، وهو يبذل قصارى جهده ؛ للسيطرة على أعصابه :

ـ إننى أنقل مريضًا إلى قسم الفحص الذى ، فى الطرف الآخر للمدينة .

مال الضابط فى حذر ؛ ليلقى نظرة داخل السيارة ، ووقع بصره على الطبيب ، الذى راح يرتجف فى وضوح ، وهو يتظاهر بمتابعة حالة (نور) ، إلا أن الزاوية ، التى ينظر منها ، لم تكن تكفى لرؤية (سلوى) و (نشوى) ، اللتين التصقتا بالركن ، وكتمتا أنفاسهما فى قوة ..

ولثوان ، جال الضابط ببصره فى كل ما أمكنه رؤيته من السيارة ، قبل أن يعتدل فى صرامة ، قائلاً :

ـ أرنى رخصة قيادتك ، وهويتك ، وأمر نقل المريض .

كانت هذه هى اللحظة ، التى يخشاها (رمزى) منذ البداية ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا تماسك تمامًا ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

ودون أن يدرى ما الذى يمكنه أن يفعله بالضبط ، راح يتظاهر بالبحث عن الأوراق المطلوبة ، فانعقد حاجبا ضابط الشرطة ، وتراجع بحركة حادة ، وسحب مسدسه فى توتر ، وهو يقول بكل الصرامة :

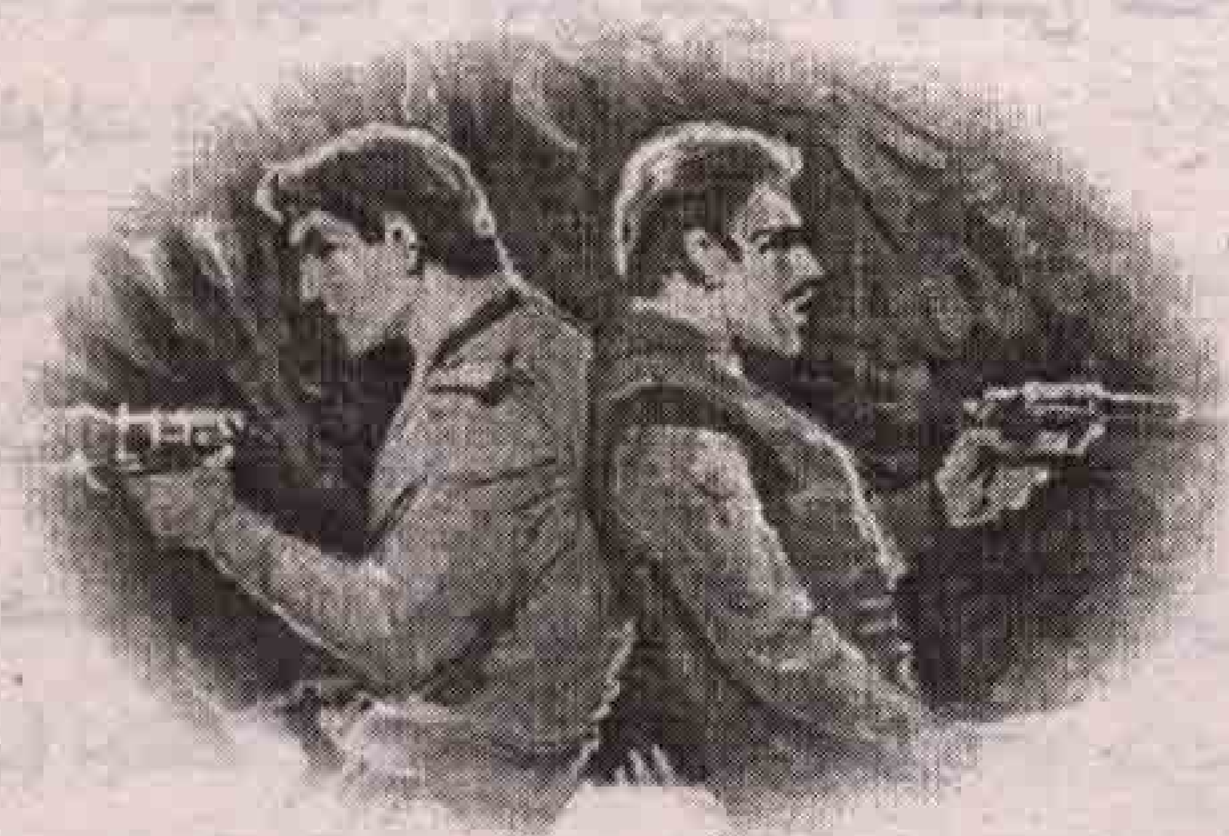
ـ هل تجد صعوبة فى هذا ؟!

ومع خبرته فى علم النفس ، والنبرة التى أفرزها صوت الضابط ، أدرك (رمزى) أن الموقف قد بلغ ذروته ..

وأن خطة الفرار قد فشلت ..

فشلت تمامًا .

★ ★ ★



٨ ـ الضربة الرابعة ..

من المؤكَّد أن تلك اللحظات كانت أسوأ لحظات عاشها (أمجد) ، فى حياته كلها .. فعلى الرغم من عشرات المواجهات العنيفة ، التى خاضها فى حياته ، إلا أنه لم يطلق النار قط على رجاله ..

على تلامذته ..

لم يطلق النار أبدًا على رجال شرفاء ، كل ما يسعون إليه هو تنفيذ أوامر ، تلقوها من الرئيس الشرعى للبلاد ..

ثم إنه هناك مبدأ ، أصرّ على ألا يتخلى عنه مطلقًا ، طوال سنوات الصراع الطويلة ..

إنه لن يقتل أبدًا ..

إلا للضرورة القصوى ..

لذا ، فما أن بدأ إطلاق النار ، حتى انحنى صائحًا بـ (أكرم) :

ـ لا أريد قتلى .

قالها ، وأطلق رصاصات مسدسه ، بنفس المهارة ، التى عُرِفَ بها ، فى سنوات نضاله كلها ..

كان يستهدف الأذرع والسيقان ، على الرغم من معرفته بأمر تلك الأزياء الحديثة ، المضادة للرصاصات وأشعة الليزر ، والتى تم توزيعها على رجال أمن الرياسة مؤخرًا .

أمام (أكرم) ، فلم يرق له هذا الأمر ، وهو الذى اعتاد أن ينهى صراعاته برصاصات مسدسه ، ولكنه أطاع (أمجد) ، فوثب أرضًا ، وانبطح فى سرعة مدهشة ، وهو يطلق رصاصاته نحو الأقدام ..

ومن فوقه ، عبرت موجة إرتجاجية عنيفة ، انطلقت من سلاح أحد الرجال الخمسة ، قبل أن ترتطم بالجدار ، وتصنع فيه فجوة مخيفة ..

وارتطمت رصاصاته ، مع رصاصات (أمجد) بالأذرع ، والسيقان ، والأقدام ، وحتى الصدور ..

وارتدّت كلها بمنتهى العنف ..

أما الموجات الارتجاجية الارتدادية ، التى أطلقتها أسلحة الرجال ، فقد حاولت أن تستهدف جسديهما مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن مهارتهما المدهشـة ، واحتمائهمـا ببعض قطـع الأثاث الضخمة ، حماهما من الإصابة ، خلال الثوانى الأولى من القتال ، قبل أن يهتف (أكرم) فى حدة :

- هذا مستحيل ! إما أن نَقْتُلَ أو نُقْتَلُ .

التقى حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يهتف :

- أو نقوم بمحاولة أخيرة .

قالها ، ثم تخلَّى عن مكمنـه ، ووثـب إلـى الأمـام ، وهـو يطلق رصاصـة ، أصابت الثريـا المعلَّقـة وسـط القـاعدة ، واسقطتها لتتحطَّم بدوى مخيف ، فـى نفس اللحظـة التـى أطلق فيها رصاصة ثانية ، أطاحت بسلاح أحد الرجال ، ثم تدحرج أرضًا ، وأطلق رصاصـة ثالثـة ، طـار معهـا سـلاح رجل ثانى ، و...

وفجأة ، تلقَّى طلقة ارتجاجية عنيفة فى صدره ..

طلقـة أضـافت آلاف الآلام الجديدة ، إلـى كل مـا يحتملـه ببسالة نادرة من آلام ، وانتزعته من مكانه ، لتقذف به عبر الحجرة ، وتضرب جسده بالجدار بمنتهى العنف ..

ومن مكمنه ، رأى (أكرم) الدماء تتفجَّر مرة أخرى مـن صدر (أمجد) ، فصاح فى غضب :

- أيها الأوغاد .

ورفع فوهة مسدسه ، ليطلق رصاصاتـه علـى رأس أحد الباقين ، إلا أن طلقة ارتجاجية عنيفة أصـابت قطعـة الأثـاث الكبيرة ، التى يحتمى بها ، فأزاحتها عنه بحركة حادة ، فـى نفس اللحظـة التـى انطلقت فيهـا طلقـة أخرى ، شـعر بهـا كمطرقـة هائلـة مـن الصلب ، ترتطم ببطنـه ، وتدفعـه إلـى الخلف بمنتهى العنف ، عبر الممر الـذى يقود إلى حجرة (نور) السابقة ..

ولهث (أكرم) بشـدة ، وهـو يحـاول النهـوض ، وبحثت أصابعه عن مسدسه ، ولكنها لم تعثر عليـه فـى موضعـه ، فى حين التقطت أذناه فى صعوبة صـوت قـائد المجموعـة ، وهو يقول فى أسف :

- معذرة يا سيِّد (أمجد) .. إنها الأوامر .

واتسعت عيناه فى ارتياع شديد ، وهو يحدِّق فى الرجل ، الذى صوَّب سلاحه إلى صدر (أمجد) ، الذى راح يسعل فى ألم ..

ثم فجأة ، انطلقت نحوه طلقة ارتجاجيـة جديـدة ، انتفـض لها جسده كله بمنتهى العنف ، وزحف فى قـوة عبر الممر ،

وصكّ مسامعه صوت طلقة أخرى بعيدة ، قبل أن يتلاشى كل شىء ، وهو يغمغم فى صعوبة :

ـ لا .. ليس السيِّد (أمجد) .. لا ..

وبعدها فقد الوعى دفعة واحدة ..

وأظلمت الدنيا داخل عقله ..

تمامًا ..

★ ★ ★

« إنك تفقدهم .. أليس كذلك ؟! » ..

تردَّد ذلك الصوت الرهيب فى عقل (نور) ، بكل سخرية وشراسة وشماتة الدنيا ، قبل أن يتابع :

ـ هذا هو أفضل انتقام تمنيته منذ البداية .. أن تشعر بخسارة رفاقك ، واحدًا بعد الآخر ، قبل أن تلقى مصرعك فى النهاية ، على يد من كافحت وقاتلت طيلة عمرك من أجلهم .

وعلى الرغم من مرارته الشديدة ، حاول (نور) أن يبدو متماسكًا ، وهو يقول :

ـ قلت لك : لا تبع فراء الدب قبل صيده .

أطلق المسخ ضحكة ساخرة وحشية ، فى أعماق مخه ، قبل أن يقول بكل الشماتة :

ـ الدب تم صيده ، وسلخه ، وفراؤه معروض للبيع الآن . هل تعرف مشتريًا جيدًا ؟!

تضاعفت مرارة (نور) ألف مرة ، وهو يقول :

ـ هل يروق لك دومًا أن تتبجح ، على هذا النحو ؟!

أجابه المسخ فى شراسة :

ـ بل يروق لى دومًا أن أرى العظماء ، الذين يتصوَّرون أن الهزيمة لن تعرف طريقها إليهم أبدًا ، وهم يتذوقونها ، ويجرعون منها حتى الثمالة .

قال (نور) فى غضب :

ـ الهزيمة ما زالت بعيدة يا صاح .

أطلق المسخ ضحكة أخرى ، قائلاً :

ـ بل هى أقرب إليك من حبل الوريد أيها المقدَّم .

وامتلأ صوته بالوحشية ، وهو يضيف :

ـ ألم تسأل نفسك قط ، لماذا أيقظت خلايا عقلك على هذا

النحو ؟! لماذا لم أقم بتنفيذ اللعبة كلها ، وأنت غارق فى غيبوبة عميقة ؟!

أجابه (نور) فى حدة :

ـ كنت ترغب فى التباهى بانتصارك .

قال المسخ فى سرعة:

ـ بالضبط .. ولكنه ليس السبب الوحيد .

أقلقت العبارة (نور) ، الذى غمغم فى توتر :

ـ أهناك سبب منطقى آخر ؟!

خُيِّل إليه أن حجم المسخ يتزايد ، داخل البقعة المظلمة من مخه ..

يتزايد ..

ويتزايد ..

ويتزايد ..

حتى ملامحه راحت تتغيَّر ..

وتتغيَّر ..

وتتغيَّر ..

أما صوته ، فقد بدا أكثر عمقًا ، وهو يجيب :

ـ بالطبع أيها العبقرى المتحذلق .. هناك سبب آخر ، لم تدركه بعد .. سبب يفوق كل هذه المشاعر التافهة السخيفة .

بدا (نور) أكثر توترًا ، وهو يقول :

ـ لديك خطة ثانية .. أليس كذلك ؟!

هزَّ المسخ رأسه فى بطء ، وتضاعف عمق صوته أكثر ، وهو يقول :

ـ بل لدى خطة واحدة منذ البداية أيها المقدَّم .. خطة لم ينجح ذكاؤك فى كشفها ، مع انشغالك بمقدماتها طوال الوقت .

عباراته جعلت عقل (نور) ينطلق ؛ محاولاً البحث عن تفسير لما يسمعه ، فى حين تابع المسخ فى سخرية ، داخل خلايا مخه :

ـ رفاقك أيضًا انشغلوا بالمقدمات ، ولم ينتبهوا إلى الهدف الحقيقى ، وهم يتصوَّرون الآن انهم آمنون تمامًا ، بعد أن بلغوا مقركم السرى ، وتخلَّصوا من سيارة الطوارئ .

ثم بدا هائلاً ، وهو يميل نحوه ، مستطردًا فى سخرية :

ـ ولكنهم واهمون .

اضطرب عقل (نور) أكثر مع كلماته ، وغمغم :

ـ أنت تعرف موقع المقر السرى .. أليس كذلك ؟!

تراجعت صورة المسخ ، وهو يقول ، بصوت بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة :

ـ بالطبع .. مع الطاقة العقلية ، التى أطلقتها فى خلايا مخك ، والتى أجندها كلها لصالحى ، لا توجد أسرار .. إننى أخترق كل العقول ، وأحظى بكل الأسرار .

سأله (نور) ، دون أن يحاول إخفاء اضطربه :

ـ وماذا تنوى أن تفعل ؟!

أجابه المسخ فى سرعة :

ـ لست أنا من سيفعل .

ثم تألقت عيناه ببريق مخيف ، كاد يضىء مخ (نور) كله ، وهو يضيف :

ـ هم سيفعلون .

وفى هذه المرة أيضًا لم يفهم (نور) ..

لم يفهم أبدًا ..

★ ★ ★

« إنها إشارة خارجية .. » ..

هتفت (نشوى) بالعبارة ، وهى تراجع ذلك المنحنى الباهت على شاشة جهازها للمرة العاشرة ، فاندفعت نحوها (سلوى) ، متسائلة فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

أشارت (نشوى) إلى المنحنى ، الذى تعمل على تقويته ، منذ ساعة على الأقل :

ـ انظرى يا أمى .. إنه شعاع رفيع للغاية .. يبلغ ربع ما أمكننا التوصل إليه مؤخرًا ، وهو يحمل موجة خاصة ، تعجز معظم أجهزتنا عن التقاطها ، ولكنها ذات طاقة عالية للغاية .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يقول فى توتر :

ـ أيعنى هذا أن أحدهم يتابع (نور) لسبب ما .

أجابته (نشوى) فى انفعال :

ـ بالضبط .. هناك إشارة تأتى من مكان ما ، وتسيطر على عقل أبى ، وتدفعه إلى إطلاق تلك الإشارات ، التى تستقبلها أجهزتنا ، فنتصوَّر أن الأمر كله ينبعث من مخه هو ، ما دمنا عاجزين عن التقاط مصدر البث الرئيسى ..

حدَّقت (سلوى) فى شاشة جهاز (نشوى) مرة أخرى ، قبل أن تغمغم :

ـ ولكن هذا يقلب الأمور كلها ، رأسًا على عقب .

أشارت (نشوى) بسبَّابتها ، قائلة :

ـ بالضبط .

ثم التفتت إلى زوجها (رمزى) ، مستطردة فى حماس :

ـ فما علينا الآن ، سوى إيجاد وسيلة ، لحجب تلك الإشارة الخارجية ، ومنعها من بلوغ رأس أبى ، و ...

لاحظت أنه شارد تمامًا ، فبترت عبارتها ، لتسأله فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (رمزى) ؟!

هزَّ رأسه ، قائلاً فى توتر :

ـ لا شىء .. أتساءل فقط عما أصاب (أكرم) والسيِّد (أمجد) ، فلم نسمع عنهما ، منذ غادرنا المستشفى .

تبادلت (نشوى) نظرة متوترة مع (سلوى) ، التى قالت فى قلق :

ـ لم تذع أية جهة أخبار ما حدث ، وهذا يعنى أنهم يحاولون تكتم الأمر لسبب ما .

رفع عينيه المحمرتين إليهما ، وهو يغمغم :

ـ وهذا السبب هو ما يقلقنى بشدة .

تبادلت (سلوى) نظرة أخرى مع (نشوى) ، قبل أن تقول هذه الأخيرة فى حزم ، جعلها شبيهة بوالدها (نور) :

ـ على كل منا أن يؤدى واجبه يا (رمزى) ، ولقد تدربنا طويلاً على إزاحة كل المشاعر الشخصية جانبًا ، عندما نواجه خطرًا حقيقيًّا .

تنهَّد ، قائلاً :

ـ بالضبط .. وعلى الرغم من هذا ، فكلنا نجازف بوجودنا كله ، من أجل إنقاذ (نور) .

لم ترق لها كلماته ، فقالت فى صرامة أكثر :

ـ فليكن .. سنوقف الحديث حول هذا الأمر الآن ، ولنركز جهودنا كلها على إيجاد وسيلة لمنع تلك الإشارة العجيبة ، من بلوغ رأس أبى بأى ثمن .

اعتدلت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ سأسعى أنا أوَّلاً ، لتحديد مصدر تلك الإشارة .

صمتت (نشوى) لحظة ، قبل أن تقول فى حزم :

ـ يمكننى أن أوفِّر وقتك ، وأجيب هذا السؤال .

سألتها (سلوى) فى لهفة :

ـ هل توصَّلت إلى مصدرها ؟!

بدا من الواضح أنها تقاوم انفعالاً جارفًا فى أعماقها ، وهى تعض شفتها السفلى ، مجيبة :

ـ إنها لا تأتى من كوكب الأرض .

واتسعت عينا (رمزى) و (سلوى) عن آخرهما ..

فالضربة هذه المرة كانت عنيفة ..

عنيفة للغاية ..

★ ★ ★

تألَّقت عينا الدكتور (سمير) فى انفعال ، وهو يطالع ذلك التقرير ، الخاص بما حدث فى المستشفى العسكرى ، قبل أن يعيده إلى مكتب القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ الأمر تجاوز كل ما توقعناه ، إلا أننا لم نظفر بالمقدَّم (نور) بعد .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ يبدو أننا سنبذل الكثير من الجهد ، قبل أن نظفر به ، فهناك أكثر من مليونى مواطن فى (مصر) وحدها ، من أقصاها إلى أقصاها ، مستعدون للقتال إلى جواره ، باعتباره الرجل الذى أنقذ العالم كله من احتلال بغيض .

قال الدكتور (سمير) فى حزم :

ـ لهذا لم نعلن الخبر .. لسنا نرغب فى تحويل الأمر إلى حرب أهلية عنيفة .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وتطلَّع إليه لحظة فى صمت ، قبل أن يميل على مكتبه ، قائلاً :

ـ ما الخطوة التالية إذن ؟!

عادت عينا الدكتور (سمير) تتألقان ، وهو يجيب :

ـ لى كل الفخر ، أن أعلن أننى قد اتخذت كل الاحتياطات اللازمة ، لمواجهة احتمال كهذا .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يسأله :

ـ أية احتياطات ؟!

أشار الدكتور (سمير) بيده ، مجيبًا :

ـ فى الآونة الأخيرة ، وعبر تجنيد أحد طبيبى وحدة العناية المركزة ، أمكننى أن أغرس جهاز تعقب خاص ، فى جسد المقدَّم (نور) .. جهاز يرتبط بشبكة أقمارنا الصناعية مباشرة ، ويتعقبه بوساطة إشارة جديدة ، بالغة الدقة ، وفائقة الترددُّ ، بحيث تعجز الأجهزة الحديثة الحالية عن التقاطها ، وعبر تلك الإشارة ، التى لا تحجبها وسائل الحجب العادية ، سيمكننا تحديد موقع (نور) ، فى أى مكان من العالم ، داخل أو خارج (مصر) .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

ـ وهل حددتم موقعه بالفعل ؟!

أومأ الدكتور (سمير) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى زهو واضح :

ـ نعم أيها القائد .. ولقد أصدرت الأوامر بمحاصرته بالفعل .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ دكتور (سمير) .. هل لاحظت أنك تتجاوز دومًا نطاق صلاحياتك ؟!

أجابه الدكتور (سمير) فى سرعة :

ـ إنما أفعل هذا من أجل (مصر) يا سيِّدى .

بدا القائد الأعلى غاضبًا صارمًا ، وهو يقول :

ـ حتى هذا ، له قواعده ونظمه .. حاول أن تتذكَّر هذا ، فى المرة القادمة .

شدّ الدكتور (سمير) قامته ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد أيها القائد .. بالتأكيد .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ واصدر الأوامر بالاكتفاء بمحاصرة موقع (نور) ، دون حدوث اقتحام أو مواجهة ، إلا بناءً على أوامرى ، أو أوامر سيادة الرئيس .

غمغم الدكتور (سمير) :

ـ سأفعل .

أشار إليه القائد الأعلى بالانصراف ، وهو يقول :

- ولا تتجاوز هذه الأوامر أبدًا .

ابتسم الدكتور (سمير) ، قائلاً :

- بالطبع .

قالها ، وغادر حجرة القائد الأعلى ، واستقل ذلك المصعد البلّورى الجديد ، عائدًا إلى مركز الأبحاث ، ولم يكد يدخل حجرة مكتبه هناك ، حتى أغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم اتجه إلى جزء من الجدار ، أزاح عنه رقاقة صغيرة ، تخفيه تمامًا عن الأعين ، ليكشف فجوة محدودة ، التقط من داخلها جهازًا بالغ الصغر والدقة ، حمله فى حرص إلى سطح مكتبه ، ووضعه فوقه فى عناية ، ثم ضغط أزراره الدقيقة للغاية ، وهو يقول ، بلغة لا يمكن تمييزها أبدًا :

- الخطة تسير على ما يرام .. استعدوا للانتقال إلى المرحلة الثانية .

كرّر العبارة ثلاث مرات ، ثم أرهف سمعه ، وجلس ينتظر فى لهفة واهتمام بالغين ، حتى انبعث من ذلك الجهاز الدقيق أزيز متقطّع ، ترجمه عقله بسرعة إلى كلمات واضحة :

- عَلِمَ ، وسيتم الانتقال إلى المرحلة الثانية ، فى التوقيت المحدد بالضبط ، وفقًا للخطة الكبرى .

وهنا فقط ، انتشت ملامحه فى ارتياح ، وتراجع فى مقعده ، وترك ملامحه كلها تسترخى وتهدأ ..

ومع استرخائها ، تلاشت منها تلك الملامح الآدمية ، التى تبدو بها معظم الوقت ، وحلت محلها ملامح أخرى ..

ملامح غير أرضية ..

على الإطلاق ..

* * *

« هل أدركت الآن ما الذى ينتظركم ؟! » ..

ردَّدت كل خلية فى مخ (نور) العبارة ، التى حملت صوتًا جافًا ، قاسيًا ، شرسًا ، ومخيفًا ، وشعر هو بتوتر لم يشعر بمثله من قبل ، وهو يقول :

- إذن فأنت لست من تصوَّرت أنه هو .

أجابه ذلك الصوت الرهيب :

- بالطبع .. الصورة التى رأيتها هى صورة منتزعة من أعمق أعماق ذاكرتك .. صورة تكفى لإرباكك ، وإثارة حيرتك ، ودفع عقلك كله إلى التفكير فى الاتجاه الذى أردناه لك .

قال (نور) بتوتره :

ـ ولكن لماذا ؟! ما دمتم واثقين من قدراتكم إلى هذا الحد ، وما دمتم تمتلكون هذه القدرة المدهشة ، على السيطرة على العقول ، والتحكم باتجاهات البشر ، فلماذا الدوران حول منطقة أخرى بعيدة .

أجابه الصوت فى سخرية ظافرة :

ـ خطتنا دقيقة ومتقنة للغاية أيها المقدم ، ولقد قضينا أكثر من عامين ، فى إعدادها وتنسيقها ، قبل أن نتخذ القرار بوضعها موضع التنفيذ .

قال (نور) فى حدة :

ـ ومن الواضح أنكم لم تضيعوا لحظة واحدة ، خلال هذين العامين ، فقد راقبتمونى جيدًا ، وسجلتم الكثير مما أواجهه .

أجابه ذلك الصوت المخيف :

ـ بالضبط .. قلت لك : إن كل شىء تم إعداده بدقة مدهشة ، حتى لانكرر أخطاءنا السابقة .. لقد بدأنا مبكرًا هذه المرة ، وتسللنا رويدًا رويدًا إلى كل مواقعكم الحيوية ..

العسكرية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والعلمية أيضًا .. تصرفنا بالفعل كما تتصرف الفيروسات الحيوية ، وفيروسات الكمبيوتر أيضًا .. كل موقع أساسى عندكم ، يوجد به أحد جواسيسنا ، وعندما تحين اللحظة المناسبة ، سيضرب الجميع ضربتهم دفعة واحدة .

لم يشعر (نور) فى حياته كلها بالقلق ، مثلما شعر به فى تلك اللحظة ، وهو يسأل ذلك الشىء ، الواقف وسط البقعة المظلمة من مخه ، والذى لم يعد يشبه ذلك المسخ القديم ، بأى حال من الأحوال :

ـ ولكن ما هدفكم الرئيس من كل هذا ؟!

تجاهل ذلك الشىء سؤاله تمامًا ، وهو يقول ، عبر خلايا مخه الرمادية :

ـ هل يمكنك أن تستنتج ضربتنا القادمة ؟!

لم يجب (نور) تساؤله ، فتابع بنبرة شامتة :

ـ لقد اخترنا هدفًا ، يطلق كل جهة أمنية فى (مصر) خلفك ، ويجعل بقاءك يمثل كل الخطر ، من وجهة تظرهم ، ليس على أمن دولتك وحدها ، ولكن على أمن عالمك كله .

تساءل (نور) ، وقلقه يتصاعد :

ـ أى هدف هذا ؟!

أطلق ذلك الشىء ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

ـ عجبًا ! المقدّم (نور) يبحث عن جواب مباشر !! أين ذكاءك وعبقريتك .

كرَّر (نور) فى توتر شديد :

ـ أى هدف هذا ؟!

بدا له ذلك الشىء ، وهو يتطلَّع إليه بعينين ناريتين ، وهو يقول ، عبر تلافيف مخه :

ـ أهذا كل ما يشغلك ؟! الهدف المرحلى ؟! إنك تحبط مشاعرنا بحق أيها المقدّم ، فقد توقعنا أن تعتصر كل ما تبقى من خلايا مخك ؛ للبحث عن الهدف الشامل النهائى .

كان على حق فى قوله هذا ..

لا ينبغى أن ينشغل بأهداف مرحلية محدودة ..

لابد وأن يبحث عن الهدف النهائى ..

الهدف الحقيقى ..

وبسرعة اعتادها عقله ، راح يراجع كل ما حدث ، منذ بدأ تلك الحالة المزدوجة العجيبة ، من الوعى واللاوعى ..

كل حوار ..

كل جملة ..

كل كلمة ..

بل كل حرف ..

ثم توقف عقله بغتة عند المرحلة الأخيرة ..

المرحلة التى أزال فيها ذلك الشىء القناع عن وجهه ، وأسفر عن ماهيته الحقيقية ..

المرحلة التى بدأ فيها زهوه ..

وشماتته ..

وغطرسته ..

المرحلة التى تحدَّث فيها لأوَّل مرة ، عن أهدافه الحقيقية ..

عند تلك المرحلة ، اعتصر (نور) عقله أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، انتبه إلى الأمر كله ..

وانتفضت خلايا مخه كلها فى عنف ..

وبكل ما ملأ نفسه من توتر ، قال :

ـ لقد تحدثت عن أخطاء سابقة ، وهذا يعنى أنها ليست ضربتكم الأولى ..

قال ذلك الشىء فى زهو :

ـ بالضبط .

وهنا هتف (نور) ، بكل اضراب الدنيا :

ـ هذا يعنى أن ما تفعلونه وتخططون له هو .. هو ..

قاطعه ذلك الشىء ، وهو يقول بصوت تردَّد فى كل كيانه بقوة :

نعم أيها المقدِّم ، ما توصَّل إليه عقلك صحيح .. إننا

نستعد لغزو شامل جديد .. غزو نعيد فيه احتلال كوكبك كله.. كوكب الأرض .

وصرخ مخ (نور) كله ..

بكل الذعر .

★ ★ ★

انتهى الجزء الأوَّل بحمد اللَّه

ويليه الجزء الثانى بإذن اللَّه

(الفـــــــيروس)

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جدًّا !!

د. نبيل فاروق

152

القيروس



ملف المستقبل 152 القيروس • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •



د. نبيل فاروق

٢٠٠٥/٧/٤

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

152

الثمن فى مصر ٣٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



القيروس

- عالم من الوهم ، غاص فيه (نور) حتى النخاع ..
- مع انطلاقة عقل ، جابت به أرجاء الكون كله ..
- ولغز عجيب ، يشترك فيه كوكبان متماثلان ..
- لغز لا يمكن أن يحله ، سوى شخص واحد .. (نور) ..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل عالمين .



المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية
٨ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية الرقم البريدى ١١٣٨١
ت: ٥٩٢٨٢٠٢-٦٨٣٥٥٥٤-٢٥٨٦١٩٧

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، فى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ، من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المُستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ خطأ ..

لم يبدُ رئيس الجمهورية ، فى حياته كلها شديد التوتر ، مثلما بدا فى ذلك اليوم ، وهو يفرك كفيه ، ويتراجع فى مقعده الواسع الكبير ، قائلاً للدكتور (سمير) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية الجديد :

ـ مازلت أشعر أن اتخاذ مثل هذا القرار ، هو أكبر خطأ يمكن أن نتخذه ، فى تاريخنا كله .

انعقد حاجبا الدكتور (سمير) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ربما ، ولكن عدم اتخاذه قد يكون أكثر فداحة .

نقل القائد الأعلى للمخابرات العلمية نظرة بينهما فى صمت ، وهو يشعر فى أعمق أعماقه بكل توتر الدنيا ، وعقله يشتعل بذكريات بدت له بغيضة كل البغض ..

ذكريات ذلك الصراع العنيف ، مع المسخ ذى المخ المزدوج ، والذى انتهى بمصرعه مرتين ، وسقوط (نور) فى غيبوبة عميقة بلا قرار(*) ..

(*) راجع قصة (آخر العمالقة) .. المغامرة رقم (١٥٠) ..

غيبوبة تحولت فجأة إلى أكبر لغز ، فى تاريخ المخـابرات العلمية كلها ..

فعلى الرغم من رقدته بلا وعـى ، كمـا تؤكِّد كـل الدلائـل العلمية ، كان عقل (نور) ينطلق على نحو عجيب ..

نحو مدمِّر ..

للغاية ..

فمن أعمق أعماق تلافيف مخـه ، كـانت تنطلـق إشـارات فائقة ..

إشارات تجاوزت حدود أجهزة القياس ..

وحدود العلم ..

والمنطق ..

وحتى حدود القدرة ..

أية قدرة ..

فمع ما سجلته الأجهزة ، من طفراتـه العقليـة المدهشـة ، بدأت سلسلة من الحوادث العجيبة المثيرة ..

وشديدة التدمير ..

فى كل مرة ، كانت تحدث سيطرة عقليـة غير مفهومـة ، على عقل أحد القادة ، فى مواقع عسكرية مختلفة ..

ومع كل طفرة ، كان قائد ما ، يدمر هدفًا ما ..

هدفًا عسكريًّا ..

مصريًّا ..

والأدهى أن هذه لم تكن الظاهرة العجيبة الوحيدة ..

فـ(س ـ ١٨) ، الذى يحمى سيده (نور) ، منذ سقوطه فـى غيبوبتـه العميقـة ، راح يـردِّد فجـأة ، وفـى مناسـبات مختلفـة ، العبـارة الوحيـدة ، التـى يحتويهـا برنامجـه شـديد التطوير ، بكل لغات الدنيا ..

« (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى » ..

وكان هذا يوحى بأنه يتلقَّى أمرًا ما ..

أمرًا من سيِّده (نور) ..

سيِّده الغارق فى غيبوبة عميقة .

بلا وعى ..

وهنا تشابكت الأمور وتعقَّدت ، وأصبح من المحتم اتخاذ قرار خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

وبتوصية من الدكتور (سمير) ، مدير مركز الأبحاث الجديد ، كان من الضرورى أن يتم التخلُّص من سبب ما يحدث ، قبل أن تفقد (مصر) كل نظمها القتالية والدفاعية ..

من (نور) ..

الوحيد الذى عارض هذا الأمر بمنتهى العنف كان (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص لرئيس الجمهورية ..

كان يرفض بشدة المساس بـ (نور) ..

أيًّا كان السبب ..

وبينما بدأت (سلوى) و (نشوى) ، فى كشف حقيقة الإشارات ، التى تسيطر على ما يحدث ، عبر عقل (نور) ، بدأت محاولة للتخلص منه بالفعل ..

محاولة قتل بالسم ..

وتعقَّدت الأمور أكثر وأكثر(*) ..

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (بلاوعى) .. المغامرة رقم (١٥١) ..

« أين (أمجد) ؟! » ..

ألقى رئيس الجمهورية السؤال فجأة ، على نحو انتزع القائد الأعلى من ذكرياته ، فاعتدل ، قائلاً :

ـ لقد انصرف مسرعًا ، و ...

قاطعه الدكتور (سمير) ، وهو يهتف فى توتر :

ـ فعلها .

التفت إليه الرئيس ، مع القائد الأعلى ، فتابع فى غضب :

ـ سيحاول حمايته ، أو تحذير رفاقه .

غمغم الرئيس :

ـ ومن يمكن أن يلومه لهذا ؟

انتفض جسد الدكتور (سمير) ، وهو يهتف :

ـ أنا .

ثم أضاف فى عصبية ، وهو ينتزع جهاز اتصاله الخاص من حزامه :

ـ سأطلب منهم منعه من الـ ...

وهنا جاء دور القائد الأعلى ، ليقاطعه قائلاً فى حزم :

ـ مهلاً .

استدار إليه الدكتور (سمير) بحركة حادة ، فتابع القائد الأعلى فى صرامة :

ـ لماذا تتعامل مع الأمر باعتباره انتقامًا شخصيًّا ؟

صاح الدكتور (سمير) فى غضب :

ـ إننى أعمل لمصلحة (مصر) .

اعتدل الرئيس على مقعده فى توتر ، ونقل بصره بينهما فى قلق صامت ، والقائد الأعلى يقول :

ـ من أى منظور ؟! إنك تسعى للقضاء على (نور) ، فى عصبية شديدة ، وكأن هذا هو هدفك الرئيسى والوحيد ، من الأمر كله .

بدا الدكتور (سمير) شديد الغضب ، وهو يقول :

ـ القضاء على المقدَّم (نور) ، هو الوسيلة الوحيدة ؛ لمنع انهيار النظام الدفاعى الأمنى بأكمله .

هتف القائد الأعلى :

ـ وماذا عن تحجيمه ؟!

سأله الرئيس فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى بالمصطلح ؟!

أشار القائد الأعلى بيديه ، قائلاً فى انفعال :

ـ احتواؤه .. إحاطته بما يمنع انطلاق تلك الموجات فوق العقلية من مخه ..

انعقد حاجبا الدكتور (سمير) بشدة ، فى حين تساءل الرئيس ، فى اهتمام أكثر ، ولهفة بلا حدود :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حماس وانفعال :

ـ أظنه كذلك .

أدار الرئيس عينيه المتسائلتين إلى الدكتور (سمير) ، الذى انعقد حاجباه بدوره ، وبدت علامات التفكير العميق على وجهه ، قبل أن يقول :

ـ يمكننا المحاولة .

ثم استدرك فى سرعة وصرامة :

ـ ولكننى لست مسئولاً عما يمكن أن يحدث ، قبل أن تفلح المحاولة .

وهنا ، أجابه الرئيس بمنتهى الحزم :

ـ فليكن .. قم بمحاولتك ، وسأتحمل شخصيًا المسئولية الكاملة .

وتساءل القائد الأعلى فى لهفة :

ـ سيدى الرئيس .. أيعنى هذا أن ...

قاطعه الرئيس بكل الحزم :

ـ نعم .. لن نصدر ذلك الأمر البغيض ، بالقضاء على (نور) .

وتنهَّد القائد الأعلى فى ارتياح .

ولكن الموقف كله بدا عجيبًا ..

فمع ما حدث قبله ، كان الأمر بالفعل محيّرًا ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« مهلاً .. هناك خطأ ما .. » .

نطق (نور) العبارة فى توتر ، داخل تلك الحالة العجيبة من الوعى الزائف ، التى يمر بها ، فاعتدل خصمه ، الذى اتخذ الآن شكلاً مغايرًا لما قبل ، وهو يسأله ، بذلك الصوت الذى يدوى فى تلافيف مخه :

ـ أى خطأ .

راح ذهن (نور) يعتصر كل ما مر به من أحداث ، وهو يقول :

ـ (س ـ ١٨) .

تردَّد فى كيانه صوت خصمه الحذر :

ـ ماذا عنه ؟!

قال (نور) فى حزم :

ـ أين اختفى ، عندما وصلت كتيبة الإعدام ؟! لماذا لم يحاول حمايتى منها ، على الرغم من أن هذه هى مهمته الوحيدة ، التى بقى من أجلها ؟

أتاه صوت خصمه ، بعد لحظة من الصمت :

ـ موجاتنا سيطرت على إشاراته الآلية ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ قد يبدو هذا صحيحًا ، لو أنه وقف ساكنًا فحسب ، ولكن الأمر يبدو غير منطقى على الإطلاق ، عندما يتجاهل رفاقى أيضًا وجوده ، ويدخلون فى صراع مع كتيبة الإعدام ، معرضين حياتهم للخطر ، فى الوقت الذى يمكنه هو فيه سحق تلك الكتيبة كلها ، فى لحظة واحدة ، دون أية خسائر .

لم يجب خصمه هذه المرة ، فتابع ، وعقله يصفو رويدًا رويدًا :

ـ بل إنه حتى لم يظهر فى الأحداث ، وكأنما تلاشى منها فجأة ، وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا ...

توقف ليعيد دراسة الأمر ، ولكن صوت خصمه حمل ما أقنعه بصحة منطقه ، عندما تساءل :

ـ إلا إذا ماذا ؟!

وهنا ، استنفر مخ (نور) كل خلاياه الرمادية ، والبيضاء ، وتلافيفهما ، ليقول بمنتهى الحزم :

ـ إلا إذا كان كل هذا مجرَّد وهم .

مع قوله ، خُيِّل إليه أن كيانه كله قد ارتج ..

وبعنف ..

« رباه ! » ..

هتفت (نشوى) بالكلمة ، وهى تطالع ذلك المنحنى المخى الفائق ، الذى التقطته أجهزتها ، فالتفتت إليها (سلوى) ، متسائلة :

ـ ماذا هناك هذه المرة ؟!

فركت (نشوى) عينيها فى إرهاق وتوتر ، وهى تراجع نتائج جهازها للمرة الثانية ، قبل أن تقول :

ـ هناك أمر عجيب ، بالنسبة لهذه الإشارات .

سألتها (سلوى) فى اهتمام متوتر :

ـ وما هو ؟!

أشارت (نشوى) إلى شاشة جهازها ، مجيبة :

ـ إنها تبدو للوهلة الأولى ، وكأنها تنبعث كلها من عقل أبى ، ولكن هناك منحنى دقيقًا ، يبدو بالكاد هنا ، باهتًا للغاية كما ترين ، ولكنه يسير عكس المنحنيات الأخرى كلها .

مالت (سلوى) إلى الأمام ، تتطلَّع إلى ذلك المنحنى الباهت ، قبل أن تغمغم فى توتر شديد :

ـ هذا صحيح .

اتجه نحوهما (أكرم) ، وهو يتساءل فى قلق :

ـ هل عثرتما على جديد ؟!

أجابته (نشوى) ، وهى تعيد فحص ذلك المنحنى الباهت :

ـ نعم .. ولكننا لم نفهم ما يعنيه .

أوصلت (سلوى) أجهزتها بجهاز (نشوى) مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ أظن أن هذا دورى .

راحت كلتاهما تدرسان ذلك المنحنى ، فى حين سأل (أكرم) (رمزى) ، فى توتر وعصبية :

ـ هل يمكنك استيعاب ما يفعلانه ؟!

أجاب (رمزى) فى هدوء :

ـ لو أمكننى استيعابه ، لما انضمت (سلوى) و (نشوى) إلى الفريق .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يسأل فى عصبية :

ـ وما المفترض أن يعنيه هذا ؟!

أجابه (رمزى) بنفس الهدوء :

ـ إنهما خبيرتان .

تطلَّع إليه (أكرم) لحظة ، فى عصبية متوترة ، قبل أن يسأل ، فى شىء من الحدة :

- كيف يمكنك أن تظل هادئًا هكذا ، فى مثل هذه الظروف ؟!

صمت (رمزى) بضع لحظات ، ثم أجاب فى خفوت :

- من الخطأ أن تحكم على الأمور بظواهرها يا صديقى .

أومأ (أكرم) برأسه ، مغمغمًا :

- أنت على حق .

مع آخر حروف كلماته ، دلف (أمجد صبحى) إلى حجرة المتابعة فجأة ، فهتف (أكرم) بمنتهى الدهشة :

- سيِّد (أمجد) ؟! ما الذى تفعله هنا فى هذه الساعة المبكرة ؟! ألا ينبغى أن تستريح قليلاً بعد كل ما فقدته مع إصابتك من دماء ؟!

قال أحد الطبيبين فى توتر :

- ناهيك عن إصابة رئته اليمنى ، التى ...

قاطعه (أمجد) ، وهو يسأل فى حزم :

- كم تحتاجون من وقت لإخراج (نور) من هنا ؟!

ارتسم مزيج من الدهشة والقلق على كل الوجوه ، وهتف أحد الطبيبين فى هلع :

- إخراجه من هنا ؟! هذا مستحيل ! إنه يتلقى علاجًا منتظمًا ، وخروجه من هنا ، يعرض حياته كلها للخطر .

اندفعت (سلوى) تسأل ، قبل حتى أن يتم الطبيب هتافه :

- ولماذا نخرجه من هنا ؟! ماذا هناك بالضبط ؟!

انعقد حاجبا (أمجد) فى صرامة ، وهو يقول :

- لا شىء حتى الآن ، ولكننى تحسبًا ، أريد نقله إلى مكان ، لا يعرفه سوانا .

ضاعفت عبارته من دهشة وتوتر وقلق الجميع ، فيما عدا (أكرم) ، الذى استل مسدسه ، وأشار إلى (س - ١٨) ، قائلاً فى حزم :

- فى وجود (س - ١٨) ، لن تجد مكانًا واحدًا ، أكثر أمنًا وأمانًا من هنا ، ولو حاول مخلوق واحد الاقتراب من (نور) ، فأقسم أن ...

قاطعه (أمجد) فى صرامة :

ـ وماذا عن النظام العام ؟! ماذا عن الأطباء ، وطاقم التمريض ، وفنيى الأجهزة ؟! ماذا عن دس السم فى عقاقيره ، أو نظام تغذيته ، أو دفع قلبه إلى تسارع مميت ، أو إلى توقف صناعى مفاجئ ؟

بهت الكل لكلماته ، وتبادلوا نظرة عصبية ، قبل أن يتساءل (رمزى) فى حذر ، حمل قدرًا هائلاً من التوتر :

ـ هل صدر قرار بتصفية (نور) ؟!

شهقت (سلوى) ، وأطلقت (نشوى) صرخة ذعر ، وانتفض جسد (أكرم) ، وتراجع الطبيبان مذعوران ، فانعقد حاجبا (أمجد) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هل سنضيع الوقت فى حديث بلا طائل ، أم نتآزر للقيام بهذا العمل ؟!

مع نهاية كلماته ، صدر أزيز خاص ، من أجهزة الإعاشة ، المتصلة بجسد (نور) ، واعتدل (س ـ ١٨) فى وقفة قوية ، وهو يقول بصوته المعدنى الجاف :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

وبسرعة ، استدار الكل إليه ، و ...

واتسعت عيونهم فى دهشة ، مع خفقان قلوبهم العنيف .

فأمامهم مباشرة ، كانت هناك مفاجأة ..

مفاجأة مدهشة .

* * *

٢ ـ الكــــابوس ..

اعتدل القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى حركـة حـادة ، وهو يهتف فى انفعال جارف :

ـ استعاد وعيه ؟! حقًّا ؟!

أومأ الدكتور (سمير) برأسه فى تحفظ ، قائلاً :

ـ نعـم .. إدارة المستشفى أبلغتنـا بالأمـر رسميًا ، منذ دقائق قليلة ، وفقًا لما لديها من تعليمات ، وهم يرغبون فـى نقله إلى حجرة خاصة .

هبَّ القائد الأعلى من مكانه ، وهو يشير بسبَّابته ، قائلاً :

ـ ليس بهذه السرعة .. لابد من اتخاذ بعض الإجـراءات أولاً .. هل أبلغت الرئيس ؟!

هزَّ الدكتـور (سمير) رأسـه نفيًا ، فقـال القـائد الأعلـى بنفس الانفعال :

ـ فليكن .. سأبلغه فورًا ، و ...

قاطعه الدكتور (سمير) ، فى شىء من العصبية :

ـ رأيى أن نتريث قليلاً فى هذا الشأن يا سيِّدى .

تساءل القائد الأعلى فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ لأننا نجهل من استعاد وعيه بالضبط .

اعتدل القائد الأعلى ، وتطلَّع إليه فى توتر شديد ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ أعنـى أن ذلك ، الـذى استعاد وعيـه ، ربمـا لا يكـون (نـور) الـذى نعرفـه ، وإلا مـا سـعى عقلـه لتدمير قدراتنـا الدفاعية ، على هذا النحو الشرس .. ثم إن الخبراء كلهم أجمعوا مـن قبل ، علـى أن استعادته لوعيـه ، لـو حدثـت ، فستتم على نحو تدريجى بطىء ، ولكن تقرير المستشفى يشير إلى أنه قد استعاد كامل وعيه دفعة واحدة ، على نحو

مباغت ، كفيل بإثارة كل شكوك الدنيا ، وهناك ألف احتمال واحتمال ، أن تكون نفس القوة ، التى فعلت بنا كل هذا ، هى التى أيقظته ، وأعادته إلى وعيه ، ليصبح سلاحًا مدمرًا رهيبًا ، يتفجَّر فى أمننا كله .

كان الاحتمال واردًا بشدة ، حتى إن القلق قد تفجَّر عارمًا ، فى كيان القائد الأعلى ، الذى توقف ليدير الأمر فى رأسه جيدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ فليكن .. سأبلغ هذا الاحتمال لسيادة الرئيس ، و ...

قاطعه الدكتور (سمير) مرة أخرى فى عصبية :

ـ عندئذ ستصبح مسئولاً عن كل ما يمكن أن يصيبه ، من جراء هذا .

هتف القائد الأعلى فى غضب :

ـ ما الذى يدور فى رأسك بالضبط ؟!

مال الدكتور (سمير) نحوه ، قائلاً فى حدة :

ـ كلنا نعلم ، وفقًا لما أقره الخبراء ، أنه من المستحيل أن تنجح أية سيطرة عقلية ، فى بلوغ القصر الجمهورى ،

بعد تزويده بموانع الموجات فوق العقلية ، لذا فالوسيلة الوحيدة لبلوغ الرئيس ، من هذا الجانب ، هى إخراجه من موقعه ، أو الوصول إليه مباشرة ، تحت سقف واحد .

أجاب القائد الأعلى فى حذر :

ـ بالضبط .

أومأ الدكتور (سمير) برأسه ، قائلاً :

ـ وماذا سيفعل الرئيس فى رأيك ، عندما نبلغه بعودة (نور) إلى وعيه ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وعقله يدرس الأمر فى سرعة :

ـ سيسعى لزيارته ، أو يطلب قدومه إليه .

اعتدل الدكتور (سمير) ، وتألقت عيناه ، وهو يقول :

ـ بالضبط .

وهنا انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ وكيف يمكننا التيقن من الموقف ؟!

عاد الدكتور (سمير) يميل نحوه ، مجيبًا :

ـ بأن نفحص عقل (نور) مباشرة .

لم يكد القائد الأعلى يسمع الجواب ، حتى قال فى حسم :

ـ فلنبدأ التنفيذ فورًا إذن .

اعتدل الدكتور (سمير) مرة أخرى ، وتألَّقت عيناه بشدة ، وهو يجيب :

ـ كما تأمر أيها القائد .

ومن المؤكَّد أن ذلك التألق قد امتد إلى أعمق أعماقه ..

فقد كان هذا يتوافق مع ما وضعه من مخططات ..

تمامًا ..

★ ★ ★

حملت لهجة (أكرم) كل ما تفجر فى كيانه من سعادة ، وهو يربت على كتف (نور) ، قائلاً فى حماس :

ـ حمدًا للّه على سلامتك يا صديقى .. ها أنت ذا تهزم قوانين الطبيعة مرة أخرى .

غمغم (نور) ، وهو يبتسم ابتسامة شاحبة :

ـ رويدك يا صديقى .. جسدى لم يستعد قدرته بعد ، على احتمال كفك القوية .

التقى حاجبا (أمجد) ، وهو يتساءل فى اهتمام :

ـ كيف تشعر الآن يا (نور) ؟!

ابتسمت (سلوى) فى حنان ، قائلة :

ـ لا ريب فى أنه يشعر بالضعف ، و ...

قاطعها (أمجد) بنظرة صارمة ، لا تتناسب أبدًا مع الموقف ، وهو يكرِّر سؤاله لـ (نور) :

ـ كيف تشعر ؟!

بدا الانتباه واضحًا ، فى ملامح (رمزى) و (نشوى) ، و (نور) يجيب :

ـ بحيرة .

ردَّدت (سلوى) فى دهشة :

ـ حيرة ؟!

فى حين سأله (أمجد) ، فى اهتمام يحمل حزم رجل اعتاد القيادة :

ـ ولماذا تشعر بالحيرة ؟!

غمغم (أكرم) :

ـ أضف اسمى إلى السؤال نفسه .

أدار (نور) عينيه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يفرك عينيه ، مجيبًا :

ـ أوراقكم ووثائقكم كلها تقول إننى فقدت الوعى لفترة طويلة ، أما عقلى ، فيشعر أننى لم أفقد وعيى لحظة واحدة ، وإنما ظللت يقظًا طوال الوقت ، بل ووثب عقلى إلى منطقة ما ، بين الزمان والمكان .

تفجرت حيرة عارمة فى وجه (أكرم) ، فى حين تبادل الآخرون نظرة متوترة ، تساءلت بعدها (سلوى) :

ـ ماذا تعنى بالضبط يا (نور) ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، معبرًا عما يعتمل فى نفسه من حيرة وتوتر ، وهو يجيب فى خفوت :

ـ بوسيلة ما ، كنت أشعر بكم ، وبكل ما تفعلونه من حولى ، وكأنما انفصل عقلى عن جسدى ، وراح يحلق فوق رءوسكم ، ويرصد كل خطوة تقومون بها .

تبادل الجميع نظرة شديدة التوتر مرة أخرى ، فاعتدل (نور) ، وتابع :

ـ أظن الموضوع يحتاج إلى تفاصيل دقيقة .

جذب (أمجد) مقعدًا ، وجلس إلى جوار فراش (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ كلنا آذان مصغية .

وهنا التقط (نور) نفسًا عميقًا ..

وبدأ يروى ..

وبكل التفاصيل ..

★ ★ ★

« أأنت واثق من أن هذا سيعمل بكفاءة ؟! » ..

ألقى الدكتور (سمير) السؤال ، على أحد علماء مركز الأبحاث ، وهو يشير إلى جهاز أشبه بالخوذة ، فأومأ العالم برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ دون أدنى شك يا سيدى .. هذا الجهاز يمكنه فحص موجات المخ ، بدقة تبلغ نسبة الخطأ فيها واحد فى كل مائة مليون ، وهو يحوى مجسًا فائق الحساسية ، لموجات جاما ، بالإضافة إلى ذلك الجهاز ، الذى ابتكرته (نشوى) ، والذى يمكنه التقاط أية تغيرات ، فى الموجات فائقة القصر ، مهما بلغت دقتها .

أومأ الدكتور (سمير) برأسه متفهمًا ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ أهو آمن مع كل هذا ؟!

تردَّد العالم لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ لو تم استخدامه خلال المدى الآمن .

انعقد حاجبا الدكتور (سمير) ، وهو يسأل :

ـ ولماذا يكون هناك مدى آمن ؟!

تردَّد العالم مرة أخرى ، على نحو أكثر وضوحًا ، جعل الدكتور (سمير) يسأله بمنتهى الصرامة :

ـ أهناك ما لا ينبغى أن أعرفه ، فى مكان أحتل أعلى مناصبه ؟!

هزَّ العالم رأسه نفيًا فى سرعة ، وهو يقول :

ـ مطلقًا يا سيِّدى ، ولكن هذا المشروع بدأ منذ فترة قصيرة ، وتم تطويره بسرعة اقتضتها الظروف ، حتى أنه لم يختبر بعد إلا فى مدى محدود ، وهو ما نطلق عليه اسم المدى الآمن ، والمحدَّد بعلامتين حمراوين ، فى مؤشره الرقمى .

بدا من الواضح أن هذا قد جذب انتباه الدكتور (سمير) بشدة ، وهو يتساءل بكل اهتمامه :

ـ وماذا لو تم تجاوز المدى الآمن ؟!

جاء الجواب جليًا ، مع امتقاع وجه العالم ، وهو يجيب :

ـ اللَّه (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكن أن يحدث عندئذ .

أخفى الدكتور (سمير) التماعة عينيه فى صعوبة ، وهو يتطلّع إلى الجهاز فى اهتمام بالغ ، قائلاً :

ـ فليكن .. سأتسلمه منك رسميًا الآن .

وقع الأوراق المطلوبة ، ثم حمل الجهاز إلى حجرة مكتبه ، ولم يكد يدخلها ، حتى أغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم جلس خلف مكتبه ، يتطلّع إلى الجهاز بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يضغط أحد أزراره ، ليقفز بقراءات مؤشره الرقمى إلى ما يتجاوز الإشارة الحمراء ..

أو إلى الحد الأقصى ..

تقريبًا ..

* * *

اتسعت عينا (نشوى) فى توتر ، وهى تحدق فى وجه أبيها ، قائلة بصوت مرتجف :

ـ هذا يفسر تلك الموجة ، التى كانت تأتيك من الفضاء الخارجى .

انتفض جسد (أكرم) مع قولها ، وسحب مسدسه بحركة غريزية ، وهو يهتف :

ـ من الفضاء ؟! ماذا تعنين ؟!

أشار (أمجد) بسبّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ ليس هذا هو المهم الآن ، وإنما تورط الدكتور (سمير) ، فيما تعتبرونه رؤيا مستقبلية ، هو أمر بالغ الخطورة ، إلى أقصى حد .

سألته (سلوى) متوترة :

ـ هل تعنى أن ...

قاطعها ، مواصلاً :

ـ فلو صحت الرؤيا ، فسيعنى هذا أن مدير مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، أعلى جهة أمنية فى البلاد ، جاسوس لكوكب آخر .

أطلقت عبارته رجفة فى أوصالهم جميعًا ، قبل أن يتابع بكل الصرامة :

ـ جاسوس يمهد لغزو قادم .

بدت عبارته الأخيرة أشبه بحجر ضخم ، هوى على بركة راكدة ، فصنع فيها دوائر متصلة بلا نهاية ..

وفى نفس اللحظة ، التى اشتعلت فيها مخاوفهم ، برز الدكتور (سمير) فى المكان فجأة ، وهو يحمل ذلك الجهاز الشبيه بالخوذة ، ويقول فى توتر :

ـ سيد (أمجد) ؟! ماذا تفعل هنا ؟!

استدارت العيون كلها إليه ، بنظرة عدائية متوترة ، فتراجع قائلاً فى عصبية :

ـ ماذا هناك ؟!

واجهه (أكرم) بعصبية ، وهو يلوّح بمسدسه ، قائلاً :

ـ من أنت بالضبط ؟!

انتفض جسد الدكتور (سمير) ، وهو يقول فى دهشة مذعورة مستنكرة :

ـ من أنا ؟!

انقضّ عليه (أكرم) ، وجذبه من ياقته فى عنف ، صائحًا فيه بغضب :

ـ نعم .. من أنت ؟! أجب وإلا نسفت رأسك بلا تردُّد .

اتسعت عينا الدكتور (سمير) عن آخرهما ، وانعقد لسانه ، فلم ينطق بحرف واحد ، فى حين تدخّل (أمجد) ، قائلاً فى صرامة :

ـ مهلاً يا (أكرم) .. ليس هكذا تعالج الأمور .

وهنا هتف الدكتور (سمير) ، فى غضب هادر :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟!

أجابه (نور) هذه المرة ، وهو يعتدل جالسًا ، على طرف فراشه :

ـ سأخبرك أنا ما الذى يحدث هنا .

ومرة أخرى راح يروى ..

بحذر ..

★ ★ ★

امتد الفضاء أبديًا سرمديًا ، لا نهائيًا ، على نحو يتجاوز كل خيال ، وتناثرت فيه مليارات النجوم ، فى تشكيلات فاق جمالها وتنسيقها الحدود ..

وفى مجرة بعيدة ..

بعيدة للغاية ..

وحول نجم يتشابه كثيرًا مع شمسنا ، دار كوكب صغير نسبيًا ..

كوكب يقع ترتيبه الثالث ، ضمن مجموعته ، التى تضم سبعة عشر كوكبًا ..

والمدهش أن ذلك الكوكب ، كان يبدو من الفضاء الخارجى ، قريب الشبه بكوكبنا الأرض ، لولا أنه يدور حوله قمران ، لا قمر واحد ..

وهناك ، فى مكان ما من ذلك الكوكب ، تلقى أحد الرجال رسالة ..

رسالة عقلية ..

قوية ..

وبسرعة ، ولأنه يعرف واجبه جيدًا ، فقد انطلق بها إلى رئيسه ، وسلمه إياها ، وهو يقول بلغة ، لا تشبه أية لغة نعرفها ، على وجه الأرض :

ـ عميلنا فى مأزق أيها القائد .

انعقد حاجبا قائده ، وهو يقول :

ـ هل انكشف أمره ؟!

أجابه الرجل بسرعة :

ـ ليس بعد ، ولكنه قاب قوسين أو أدنى من هذا .

ازداد انعقاد حاجبى القائد ، وهو يسأله :

ـ وكيف هذا ؟!

راح الرجل يشرح له بالتفصيل ، تلك الرسالة العقلية التى تلقاها ، وهو يستمع إليه فى اهتمام بالغ ، قبل أن يستغرق فى التفكير بضع لحظات ، ثم يتساءل :

ـ هل تعتقد أنهم متقدمون ، إلى الحد الذى يسمح لهم بكشف الأمر ؟!

صمت الرجل بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، في شيء من الحذر :

ـ إنهم متقدمون .. ولكن ليس إلى هذا الحد .

وهنا تراجع القائد في مقعده ، وحك ذقنه بسبَّابته بضع لحظات ، قبل أن يقول في حزم :

ـ دعهم يحاولون إذن .

واكتفى الرجل بهذا القول ، وأسرع عائدًا إلى مكتبه ، ليبث عبره رسالة عقلية ، بوساطة تقنية لم يعرفها عالمنا بعد ..

تقنية تتجاوز كل زمان ..

وكل مكان ..

★ ★ ★

لم يكد (نور) ينتهي من روايته ، حتى ارتسمت ابتسامة ساخرة كبيرة ، على شفتي الدكتور (سمير) ، وهو يقول :

ـ آه .. كل هذا إذن بسبب هلاوس ، عاشها بطل التحرير ، عبر غيبوبة عميقة .

قال (نور) في حزم :

ـ لم تكن هلاوس ، وإنما ...

قاطعه الدكتور (سمير) في حزم صارم :

ـ بل هلاوس .. أو هذيان غيبوبة أيها المقدم .. هذا ما يقوله العلم ، وما لا يمكن أن ينكره خبيركم النفسي .

ثم استدار إلى (رمزي) ، متابعًا بكل صرامته :

ـ أليس كذلك يا دكتور (رمزي) ؟!

تردَّد (رمزي) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ معذرة يا (نور) ، ولكنه احتمال وارد .

رمقته (نشوى) بنظرة غاضبة ساخطة ، فاستدرك في توتر :

ـ العلم لا يعرف المجاملات .

أجابه (نور) :

ـ هذا صحيح ، ولكن العلم أيضًا له وسائل عديدة ؛ لكشف حقيقة كل شخص .

تألقت عينا الدكتور (سمير) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ كتحليل الحامض النووى مثلاً .

انعقد حاجبا (أمجد) فى شك ، فى حين قال (نور) فى حزم :

ـ أنت اقترحتها .

التقط الدكتور (سمير) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ وأصر على إجراء الاختبار هنا .. وفورًا .

وهنا شد (أمجد) قامته ، قائلاً فى حزم :

ـ فليكن .

لم تمض دقيقة واحدة على قوله هذا ، حتى كان أحد المختصين يأخذ عينة من أنسجة الدكتور (سمير) بالفعل ، وهذا الأخير يقول :

ـ أتوقع اعتذارًا رسميًا ، بعد ظهور نتيجة الفحص .

أجابه (أمجد) بمنتهى الحزم :

ـ سأقدم الاعتذار بنفسى ، بعد أن أحصل على النتيجة ، مع ملاحظة أن العينة لن تفارقنى لحظة واحدة .

هزَّ الدكتور (سمير) كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول :

ـ هذا شأنك .

غادر (أمجد) المكان مع العينة ، فهتف (رمزى) ، وهو يلحق به :

ـ أحب أن أرى هذا بنفسى .

تابعهما الدكتور (سمير) بعينيه فى ثقة ، قبل أن يجلس على مقعد قريبًا ، ويبتسم ابتسامة ساخرة ، قائلاً :

ـ والآن أيها المقدم .. هل يمكنك أن تروى لى تلك القصة الطريفة مرة أخرى !

واتسعت ابتسامته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

« لا توجد ذرة واحدة من الشك .. إنه الدكتور (سمير) .. » ..

نطق خبير الجينات والحمض النووى العبارة فى حزم ، وهو يناول العينة وتقرير الفحص إلى (أمجد) ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، فى حين تساءل رمزى فى توتر :

ـ أيعنى هذا أنه آدمى ؟!

حدّق فيه الخبير بمنتهى الدهشة ، وهو يهتف :

ـ بالطبع !

تبادل (رمزى) نظرة عصبية مع (أمجد) ، قبل أن يستغرق هذا الأخير فى تفكير عميق ، ثم يقول :

ـ هل تعتقد أن الأمر كان مجرد هذيان بالفعل ؟!

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ أيًا كان الأمر ، فـ (نور) يثق تمامًا فى أنه حقيقة .

غمغم (أمجد) :

ـ هكذا الهذيان دومًا .

ثم عاد إلى تفكيره بضع لحظات أخرى ، قبل أن يلتقط هاتفه الخلوى من جيبه ، قائلاً :

ـ وأظننى أحتاج إلى رأى أكثر خبرة .

تساءل (رمزى) فى ضيق :

ـ بشأن الحالة النفسية لـ (نور) ؟!

هزّ (أمجد) رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يجيب :

ـ بل بشأن عينة الأنسجة .

لم يفهم (رمزى) ما الذى يعنيه بقوله هذا ، حتى سمعه يقول ، عبر هاتفه الخلوى الخاص :

ـ دكتور (حجازى) .. أحتاج منك إلى خدمة .. خدمة خاصة جدًا .

وهنا فهم (رمزى) ..

أو تصوّر أنه كذلك ..

* * *

انطلقت ضحكة ساخرة عالية ، من بين شفتى الدكتور (سمير) ، عندما قرأ تقرير فحص أنسجته ، وقال وهو يتطلّع إلى (نور) مباشرة :

ـ أظن أن هذا قد حسم الأمر .. أليس كذلك ؟!

أجابه (نور) ، فى حزم هادئ :

ـ مؤقتًا .

تطلّع إليه الدكتور (سمير) لحظة فى مقت واضح ، قبل أن يقول :

ـ عنيد أنت أيها المقدّم .

أشار (نور) إلى رأسه ، مجيبًا فى حزم :

ـ عندما يشعر عقلى أن الأمور ليست على ما يرام .

تطلّع إليه الدكتور (سمير) مرة أخرى بنظرة عجيبة ، قبل أن يعتدل على مقعده ، قائلاً فى صرامة :

ـ بمناسبة الحديث عن العقل .. لقد خضعت لاختبارك ، وحان الوقت لتخضع أنت لاختبارى .

انعقد حاجبا (نور) ، فى حين تساءلت (نشوى) فى عصبية :

ـ أى اختبار هذا ؟!

أجابها بمنتهى الصرامة :

ـ الاختبار العقلى ، الذى قمت بتطويره ، بنفسك يا سيِّدة (نشوى) .

قالت (سلوى) فى عصبية :

ـ (نور) لن يخضع لأى اختبار .

أجابها فى صرامة أكثر :

ـ أخشى أنه لا يملك الاختيار .. هذا قرار يتعلق بالأمن القومى ، على أعلى مستوى .

وضع (أمجد) يده على كتفه فى قوة ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! كيف يمكن أن يتعلق هذا بالأمن القومى ، دون أن أدرى عنه شيئًا ؟!

ابتسم الدكتور (سمير) ، وهو يقول :

- ربما ينبغى أن نعيد صياغة الكلمة ؛ فنقول أنها تتعلق بالأمن العلمى .

ثم تلاشت ابتسامته ، وهو يضيف بمنتهى الصرامة :

- ثم إن المقدم (نور) اتهمنى بأننى جاسوس فضائى ، ولم أغضب لهذا الشأن ، وإنما تركته ينفذ أى إجراء ، يمكن أن يطمئن قلبه بشأنه ، على الرغم من أن دليله الوحيد على اتهامى كان حلمًا أو هذيانًا عاناه فى غيبوبته ، أما أنا فلم أتهمه بشىء بعد ، ولكننى أشك ، وخلفى القيادات العلمية كلها ، فى أنه مسئول عقليًا عما أصاب نظمنا الأمنية مؤخرًا ، ومن حقنا التأكد من أننا ما زلنا نتعامل مع (نور) نفسه ، الذى عرفناه من قبل ، قبل أن نتخذ أية إجراءات بشأنه ..

تساءل (أمجد) فى صرامة :

- وهل يعلم الرئيس بما ستفعله ؟!

أجابه الدكتور (سمير) بنفس الصرامة :

- يمكنك أن تخبره لو شئت ، ولكنه قرار من القائد الأعلى للمخابرات العلمية .

انتبهت كل حواس (نور) ، عندما نطق الرجل عبارته الأخيرة ، فى حين قال (أكرم) فى شراسة :

- اسمع يا رجل .. لست أهتم بمكانتك العلمية أو الرسمية ، ولو أنك مسست شعرة واحدة من رأس (نور) ، فسوف ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- الرجل يؤدى واجبه يا (أكرم) .

استدار إليه (أكرم) فى عصبية ، فتابع بمنتهى الحزم :

- بقرار من قائدى الأعلى .

هبط صمت مهيب على المكان ، مع عبارة (نور) الأخيرة ، فى حين اعتدل (نور) على طرف فراشه ، مضيفًا :

- هيا يا دكتور (سمير) .. أد ما تلقيت أوامرك بشأنه ..

تألقت عينا الدكتور (سمير) ، على نحو لم يرق لأيهم أبدًا ، وهو يلتقط ذلك الجهاز الشبيه بالخوذة ، قائلاً :

- فليكن .. استرخ على فراشك أيها المقدم ، و ...

قاطعته (نشوى) هذه المرة فى صرامة :

ـ مهلاً .. دعنى أفحص هذا الجهاز أوّلاً .

هزّ الدكتور (سمير) رأسه ، فى حزم صارم ، وهو يقول :

ـ كلاً .. ليس هذا من حقك .

صاحت به فى غضب :

ـ أنا واحدة من فريق تطويره .

أجابها بكل الصرامة :

ـ وفرد من فريق (نور) أيضًا ، وهذا لا يمنحك الحق فى المشاركة فى الاختبار ، وفقًا للقانون .

أرادت أن تصيح فى وجهه مرة أخرى ، ولكن (نور) استوقفها ، وهو يقول بمنتهى الحزم :

ـ إنه على حق .

تراجعت متوترة ، فى حين استرخى (نور) على فراشه ، وهو يواجهه ، قائلاً :

ـ هيا .. قم بواجبك .

مرة أخرى ، تألّقت عينا الدكتور (سمير) ، وهو يضع الجهاز على رأس (نور) ، الذى ابتسم ، قائلاً :

ـ أنا أيضًا أتوقع اعتذارًا ، بعد أن تجرى اختبارك العقلى هذا .

ابتسم الدكتور (سمير) ابتسامة غير مريحة ، وهو يقول :

ـ ستحصل على ما هو أكثر من الاعتذار .

قالها ، ثم ضغط زر الجهاز ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ..

وتدفقت طاقة هائلة عبر عقله ..

طاقة جعلته ، ولأول مرة فى حياته يطلق صرخة ..

صرخة مدوية ..

للغاية ..

* * *

٣ـ صرخة عقل ..

بمنتهى العنف ، انتفض متلقى الرسائل العقلية ، فى ذلك الكوكب البعيد ، وأمسك جانبى رأسه بكفيه ، وهو يتراجع فى قوة ، وكأنما أصابته صاعقة ، حتى سقط على ظهره ، لاهثًا فى عنف ..

ولثوان ، ظل مستلقيًا فى مكانه ، وعقله يصرخ ..

ويصرخ ..

ويصرخ ..

ثم تصبَّب على وجهه عرق غزير ، وهو ينهض فى صعوبة ، ويعدو نحو حجرة قائده ، هاتفًا :

ـ كارثة أيها القائد .. كارثة .

اعتدل قائده فى توتر ، وهو يسأله :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

ارتجف صوت الرجل وجسده ، وهو يجيب :

ـ لقد تلقيت إشارة فائقة القوة ، من كوكب (بلوكا) ، الذى يطلق عليه سكانه اسم الأرض .

تساءل القائد بمنتهى القلق :

ـ من عميلنا ؟

هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاَّ .

انعقد حاجبا القائد بمنتهى الشدة ، وبدا عليه توتر هائل ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ ماذا تعنى بهذا ؟! لا يمكن أن يكون لديهم عقل آخر ، يطلق موجات قادرة على بلوغنا ، أو ...

قاطعه الرجل فى انفعال ، دون أن ينتبه إلى ما فى هذا من مخالفة كل القواعد والنظم :

ـ إنها إشارة مختلفة أيها القائد .

سأله القائد فى توتر أكثر :

ـ على أى نحو ؟!

أشار الرجل بيده ، مجيبًا ، وصوته ما زال يحمل كل انفعاله :

ـ أكثر قوة ، وأكثر تحديدًا .

اتسعت عينا القائد فى شدة ، وبدا وكأنه يغوص فى مقعده بضع لحظات ، قبل أن يهب واقفًا ، ويتحرّك فى توتر نحو نافذة حجرته الكبيرة ؛ ليطلّ منها على مدينة عظيمة ، تمتد إلى مدى البصر ، تحت ضوء قمرين متقاربين ، قبل أن يقول :

ـ عجبًا .. حتى وقت قريب ، لم نكن نعلم حتى بوجود ذلك الكوكب ، إلى أن تلقت أجهزتنا إشارات عقلية فائقة ، أمكنها اختراق ثقب زمكانى ، لتصل إلينا على نحو يمكن رصده .

غمغم الرجل :

ـ ما زلت أذكر كيف أدهشنا وأربكنا هذا فى البداية ، خاصة وأننا كنا نتصورّ أنه ما من مخلوقات عاقلة ، تمتلك قوى ذهنية فى الكون سوانا .

أومأ القائد برأسه ، متابعًا :

ـ فلكيونا بذلوا جهدًا رهيبًا يومئذ ؛ لتتبع تلك الإشارات العقلية الفائقة ، وتحديد الكوكب الذى انبعثت منه ، حتى وقعوا على (بلوكا) ، فى مجموعة (زيكولى) ، حيث تضاعفت دهشتنا ألف مرة .

قال الرجل فى انفعال :

ـ أمر طبيعى أيها القائد .. (بلوكا) كان شبيهًا بكوكبنا ، على نحو عجيب ، فى مناخه ، وحجمه ، ودرجة قربه من نجمه .

عضّ القائد شفتيه ، مغمغمًا :

ـ لذا كان من الضرورى أن نرسل (سويز) .. أفضل رجالنا إلى هناك .

قال الرجل ، وكأنما يكمل حديث قائده :

ـ وجوده هناك أربكنا أكثر وأكثر ؛ فذلك الكوكب بدا وكأنه نسخة أخرى من كوكبنا ، ولكننا نسبقه بألف عام من التطوّر على الأقل .. سكانه لهم نفس هيئتنا ، وتكويننا ، وحتى تركيبتنا الجينية والخلوية .. وكأنهم .. وكأنهم ..

بدا كالعاجز عن إكمال عبارتـه ، فاستدار إليـه قـائده ، مكملاً إياها بمنتهى الحزم والحسم :

ـ وكأنهم ينتمون إلى الأصول نفسها .

ثم أطلق زفرة ملتهبة ، من أعمـق أعمـاق صـدره ، وهـو يتابع :

ـ وها نحن ذا نتلقى إشارات تربكنا أكثر .

مال الرجل نحوه ، قائلاً :

ـ ماذا نفعل بشأنها أيها القائد ؟!

أجابه القائد فى سرعة :

ـ لن نفعل شيئًا .

ارتفع حاجبا الرجل بمنتهى الدهشة ، فتابع القائد بمنتهى الحزم :

ـ قبل أن يخبرنا (سويز) ما الذى تعنيـه .. أو مـا الـذى يمكن أن تعنيه ؟!

قالها بصوت حمل القلق ..

كل القلق ..

* * *

مع دوى صرخة (نور) ، فـى كافـة أرجـاء المستشفى ، انتفضت أجساد رفاقه جميعهم فـى عنـف ، ووثـب (أكـرم) يدفع الدكتور (سمير) نحو الحائط ، ويلصق فوهة مسدسـه بأسفل ذقنه ، صارخًا :

ـ ماذا فعلت بـ (نور) أيها الحقير ؟!

هتف الدكتور (سمير) فى عصبية :

ـ لم أفعل به شيئًا .. لقد استخدمت جهـازًا طوَّرتـه ابنتـه نفسها .

كان الكل يفحص (نور) ، أو يستدعى فريـق الإسعاف ، عندما صاحت (نشوى) فى ارتياع :

ـ رباه ! مؤشر الطاقة عنـد الحـد الأقصـى .. مـاذا فعلت بأبى ؟!

هتف الدكتور (سمير) :

ـ لست أدرى ما الذى يعنيه مؤشر الطاقة .. لقد تسلمت الجهاز على هذا النحو ، واستخدمته كما أخبرونى بالضبط .

جذب (أكرم) مشط مسدسه فى غضب ، صائحًا :

ـ أيها الـ ...

استوقفه (أمجد) بحركة قوية ، قبضت فيها أصابعه الفولاذية على معصمه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ مهلاً يا (أكرم) .. قتله الآن سيكون أحمق أمر يمكن أن نقدم عليه ، فى ظروف كهذه .

استدار إليه (أكرم) فى حدة ، فأضاف بمنتهى الحزم :

ـ إننى أحتاج إلى استجوابه .

ـ هتف الدكتور (سمير) فى حدة :

ـ ليس هذا من حقك .

تطلّع (أمجد) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

ـ بل هو من حقى يا رجل ؛ باعتبارى المستشار الأمنى الأوّل لرئيس الجمهورية .

قال فى عصبية :

ـ هناك إجراءات لهذا .

أجابه (أمجد) :

ـ سيتم اتباعها بمنتهى الدقة .

رمقه (سمير) بنظرة مقت ، وهو يرفع سبابته ، قائلاً :

ـ فى البداية ، ينبغى أن ...

قاطعته (سلوى) ، وهى تقول فى ارتياع شديد :

ـ دعكم من كل هذا الآن ، ولتروا ما أصاب (نور) .

مع قولها ، استدار (أمجد) بحركة حادة إلى (نور) ، ثم انعقد حاجباه بمنتهى الشدة ..

فهناك على فراشه الصغير ، كان (نور) جامدًا ، كتمثال من الصخر ، وعيناه متسعتان عن آخرهما ، وكأنه فى عالم آخر ..

عالم بعيد ..

بعيد إلى أقصى حد ..

* * *

على نحو مباغت عنيف ، انطلق عقل (نور) ..

انطلق بسرعة خرافية عبر الزمان ..

وعبر المكان ..

لم يدر أين ولا كيف ينطلق ، ولكن بدا له أنه يخترق الفضاء فى رحلة فائقة السرعة ، تفوق سرعة الضوء نفسه ، حتى بدت له النجوم والمجرات أشبه بخطوط متفاوتة من الضوء ..

ثم أظلمت الدنيا كلها بغتةً ..

وأضاءت دفعة واحدة ..

ومع إضاءتها ، توقف عقله عن الانطلاق ..

وهدأ ..

واستقر ..

(نور) ..

سمع النداء يتردَّد من حوله ، عبر فراغ غير محدود ..

فراغ لا يمكن أن يصفه ..

فراغ لَم يره بشرى من قبل ..

ومن بعيد ، بدا له ما يشبه الضباب ..

ضباب هادئ ، ينتشر فى كل الاتجاهات ، على نحو أوحى إليه أنه يطير بلا حدود ..

ثم ظهر ذلك الظل ..

ظل بشرى يعبر الضباب ، فى هدوء مدهش ..

ويتجه نحوه مباشرة ..

وبمشاعر خاوية تمامًا ، راح (نور) يتابع اقتراب ذلك الظل ..

ويتابع ..

ويتابع ..

وفى كل خطوة ، كان الظل يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم فجأة ، اتضحت ملامحه ..

وظهرت ابتسامته ..

وبنفس المشاعر الخاوية ، غمغم (نور) :

ـ (محمود) .

كان ذلك القادم هو (محمود) ، زميلهم الذى فقدوه قديمًا ، فى نهر الزمن(*) ..

بهيئته ..

وقامته ..

وملامحه ..

وابتسامته ..

وبنفس المشاعر ، التى لا تعبِّر عن أى شىء فى الوجود ، تمتم (نور) :

أأنت (محمود) حقًّا ؟!

أجابه (محمود) ، بصوت بدا وكأنه يخاطب دماغه مباشرة :

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) ..

ـ نعم يا (نور) .. أنا (محمود) .. (محمود) الذى تعرفونه جميعًا .. اطمئن .. ليست خدعة ، أو صورة مغرضة .. إنه أنا .

سأله (نور) :

ـ ولكن كيف صنعت هذا الاتصال يا (محمود) ؟!

ابتسم (محمود) ، قائلاً :

ـ لم أصنع أية اتصالات هذه المرة يا (نور) .. أنت صنعتها .

قال (نور) فى دهشة ، بدت وكأنها تأتى من شخص آخر :

ـ أنا ؟!

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم يا (نور) .. قواك العقلية تنطلق الآن ، كما لم تنطلق من قبل قط .. بل وكما لم تبلغ أية قوة عقلية ، فى الكون كله .. لقد أصبحت قادرًا على اختراق الزمان والمكان بلا حدود .

تساءل (نور) :

ـ أهذا جيد أم سيئ ؟!

أجاب (محمود) ، وهو يشير بيده :

ـ هذا يتوقف على كيفية استخدامك له يا (نور) .. عقلك الآن أشبه ببطارية نووية ، قادرة على اختراق الزمان ، وتمكنك بوساطته اختراق أى عقل .. فى أى مكان فى الكون .

خُيِّل لـ (نور) أنه قد استوعب ما يعنيه (محمود) ، فمال نحوه ، يسأله :

ـ وما أفضل عقل فى رأيك ؟!

تطلَّع إليه (محمود) طويلاً فى صمت ، ثم قال بصوت عميق :

ـ هناك .. فى أعمق أعماق الكون ، يوجد عقل يحوى كل ما تبحث عنه .. عقل جبار ، يحكم أمة عظيمة .

تساءل (نور) فى اهتمام :

ـ أهم أولئك ، الذى يسعون لغزونا ؟!

بدأ جسد (محمود) يبتعد ، وصوته يزداد عمقًا ، وهو يقول :

ـ الأمر فى نظرهم ليس غزوًا يا (نور) .. وإنما استعادة .

تساءل (نور) فى توتر ، والضباب ينتشر من حوله ، وصوت (محمود) يخبو ..

ويخبو ..

ويخبو ..

ـ استعادة ماذا ؟!

بدا صوت (محمود) بعيدًا ..

خافتًا ..

عميقًا ..

وشاحبًا تمامًا ، وهو يجيب :

ـ تاريخهم .

ومع قوله ، شعر (نور) بانتفاضة عنيفة تشمل جسده كله ..

فصرخ ..

وصرخ ..

وصرخ ..

بلا نهاية ..

★ ★ ★

« إنه يستعيد وعيه .. » ..

بدت العبارة شاحبة بعيدة ، وهى تتسلَّل إلى عقل (نور) ..

وتنتشر ..

وتتعمق ..

ثم تتضح ..

وفى بطء ، فتح عينيه ، وتطلَّع أمامه ..

كان رفاقه جميعهم ينحنون نحوه ، ويتطلعون إليه فى قلق ، و (سلوى) تقول ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ حمدًا للَّه .. حمدًا للَّه ..

اختلط صوتها بصوت الدكتور (سمير) ، وهو يقول فى غضب :

ـ والآن ، هل يمكنكم إطلاق سراحى ، والتوقف عن هذه السخافات ، ما دام قائدكم قد استعاد وعيه .

مع قوله ، شعر (نور) بانطلاقة أخيرة متراجعة لعقله ..

انطلاقة رصد خلالها كل ما يدور ، فى عقول من حوله ..

عقولهم كلها بدت له أشبه بكتاب مفتوح ، للحظات ..

فيما عدا عقل واحد ..

عقل الدكتور (سمير) ..

وحده بدا أشبه بحجرة مظلمة ..

حجرة سوداء ..

داكنة ..

خاوية ..

ثم تلاشت الظاهرة ..

وابتسم الدكتور (سمير) ..

ابتسم وكأنه يسخر من (نور) ، الذى عجز عن اختراق عقله ..

وكأنه يتحداه ..

ويعلن معرفته ما حدث ..

ولقد استغرقت ابتسامته ثانية واحدة ، ثم تلاشت ..

ومع تلاشيها ، غمغم (نور) :

ـ إنه أنت .

مع قوله ، صاح (أكرم) فى حدة ، وهو يلوى ذراع الدكتور (سمير) خلف ظهره :

ـ كنت أعلم هذا .

لم يبد الدكتور (سمير) مباليًا بما يحدث هذه المرة ، وإنما التفت إلى (أكرم) فى برود عجيب ، وتألَّقت عيناه ، وهو يقول :

ـ مشكلتك أنك همجى أكثر مما ينبغى يا سيِّد (أكرم) ، وتتصوَّر دومًا أن القوة هى السبيل الوحيد ؛ لحل كل مشكلة تواجهك .

ضغط (أكرم) ذراعه أكثر ، وهو يقول :

ـ أليست كذلك بالفعل ؟!

أجابه الدكتور (سمير) فى صرامة مخيفة :

ـ كلاً .. ليست كذلك .

مع قوله ، تحركت ذراعه ، التى يلويها (أكرم) خلف ظهره ، وشعر بها هذا الأخير ، وكأنها ذراع فولاذية لونش قوى ، وهى تعتدل ، على نحو عجزت قوته كلها عن منعه .

وعندما تجلَّت فى عينيه نظرة دهشة عارمة ، هزَّ الدكتور (سمير) رأسه ، قائلاً :

ـ وأظنك قد أدركت هذا الآن .

اتسعت عيون الجميع بمنتهى الدهشة ، فى حين اقترب (أمجد) من الدكتور (سمير) ، وبدا متحفزًا للقتال ، وهو يقول :

ـ قل لى يا دكتور (سمير) كيف لعالم مثلك أن يكتسب من القوة ، ما يكفى للقيام بما فعلته الآن .

هزَّ الدكتور (سمير) كتفيه فى لامبالاة ، وابتسم ، قائلاً :

ـ لو أنك راجعت ملف خدمتى ، لوجدت أننى أتمتع بتلك القوة ، التى تفوق أقرانى ، منذ طفولتى .. إنها حالة فريدة ، ولكنها ليست بالندرة ، التى تستحق كل هذه الدهشة ، التى تطل فى عيون الجميع ، والتحفز المطل فى عينيك(*) ..

ران صمت تام ، و (أمجد) يرمق الدكتور (سمير) بنظرة نارية ، قبل أن يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً فى صرامة :

ـ هناك علامات استفهام عديدة تدور حولك يا دكتور (سمير) .

(*) حقيقة ..

أجابه الرجل فى برود :

ـ دون دليل مادى واحد يا سيِّد (أمجد) .. لا تنس هذا أبدًا .

قال (أمجد) بمنتهى الصرامة :

ـ اطمئن .. لن أنسى شيئًا .

تألَّقت عينا الدكتور (سمير) مرة أخرى ، وهو يمد يده لالتقاط الجهاز الشبيه بالخوذة ، قائلاً فى برود :

ـ عظيم .

تبعه (نور) ببصره ، وهو يغادر المكان ، ثم أدار عينيه إلى (أمجد) ..

ودون أن يتبادلا كلمة واحدة ، أدارت عيونهما حوارًا طويلاً ..

وخطيرًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *

راجع القائد خريطة النجوم أمامه ، فى اهتمام بالغ ، قبل أن يدير عينيه إلى نافذة مكتبه الضخم ، التى تشرف على المدينة العظيمة ، ويقول لمسئول الاتصالات العقلية :

ـ على الرغم من أن ذلك الاتصال فوق الفائق ، لم يستغرق سوى ثوان معدودة ، إلا أن أجهزتنا تؤكد أنه أقوى اتصال عقلى عرفه الكون ، فى التاريخ العلمى كله .

غمغم مسئول الاتصالات العقلية :

ـ هذا صحيح ، ولكنه يفوق أقصى ما بلغناه بمرتين على الأقل ، مما يعنى أننا لم نعد القوة العقلية الأولى فى الكون .

مطَّ القائد شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ لكل شىء بداية .

زفر مسئول الاتصالات العقلية فى أسى ، وهو يغمغم :

ـ هذا صحيح .. لا شىء يدوم إلى الأبد ، مهما طال به الزمن .. المشكلة أن ذلك الاتصال قد اخترق ثغرات الزمكان ، وبلغ كوكبنا ، على الرغم من المسافات الهائلة الشاسعة ، التى تفصله عنا ، مما يعنى أن ...

قاطعه القائد فى توتر :

ـ هذه ليست المشكلة ..

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يقول فى دهشة :

ـ ليست المشكلة ؟! وكيف هذا ؟!

قال القائد ، فى صرامة عصبية :

ـ المشكلة تفوق هذا بكثير .

اتسعت عينا الرجل فى دهشة حائرة ، فاستدار إليه القائد ، وهو يتابع بكل توتره :

ـ لقد شعرت بموجات عقله ، تكاد تخترق ذاكرتى ، وتسلبنى تاريخنا كله .

واتسعت عينا مسئول الاتصالات العقلية عن آخرهما ..

فما قاله القائد ، كان يشير إلى موقف خطير ..

خطير إلى أقصى حد ..

* * *

« ما حدث ليس طبيعيًّا أبدًا .. » ..

غمغم (أكرم) بالعبارة ، فى عصبية ملحوظة ، وهو يدور فى حجرة (نور) كليث ثائر ، فأشار إليه (نور) بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ أظننا جميعًا نشعر بهذا يا صديقى .

رفع (رمزى) رأسه ، مضيفًا :

ـ ولكن دون دليل واحد ، حسبما يقول .

هتفت (سلوى) :

ـ أراهن أن شيئًا ما يسيطر على عقله .

قالت (نشوى) فى حذر :

ـ لعله نفس الشىء ، الذى حاول السيطرة على عقل أبى ، فى غيبوبته .

وهنا ، عقد (أمجد) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى حزم :

ـ عجبًا ! كنت أتصوَّر أن فريق (نور) الشهير لا يمكن أن يكتفى بحديث متوتر ، حول أمر غامض .

أدار (نور) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح يا سيِّد (أمجد) .. لا يمكن أن نكتفى بأى حديث ، وإنما علينا أن نعمل كفريق علمى .. كما ينتظر منا .

قالها ، والتفت إلى (نشوى) ، مكملاً بلهجة حاسمة آمرة :

ـ عينة الأنسجة ، التى قاموا بفحصها هنا ، تطابقت مع العينة المسجلة فى كمبيوتر الأمن العام ، للدكتور (سمير) .. أريدك أن تقومى بفحص شبكة المعلومات الأمنية ؛ لمعرفة ما إذا حدث تدخل ذكى فيها ، بأية صورة من الصور .

قال (أكرم) فى انفعال :

ـ أتعنى أن المسجل فى شبكة المعلومات ، قد تم العبث به ، ليتطابق مع ذلك المدعى ؟!

أشار (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

ثم أومأ إلى زوجته ، مضيفًا :

ـ أما أنت يا (سلوى) ، فستتعاونين مع (نشوى) ؛ لتأكيد ما إذا كانت الموجات الفائقة ، التى تم تسجيلها ، قادمة من الأرض أم من الفضاء .

شد (أكرم) قامته ، كجندى فى ميدان ، وهو يقول :

ـ وماذا عنى ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ سيأتى دورك فى موعده يا صديقى .

ثم التفت إلى (رمزى) ، مكملاً :

ـ أما أنت يا (رمزى) ، فأريدك أن تدرس نفسية الدكتور (سمير) جيدًا ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حزم :

ـ لقد فعلت .

بدا الاهتمام على الجميع ، و (نور) يسأله :

ـ وماذا وجدت ؟!

أجابه على الفور :

ـ تناقض نفسى شديد التعقيد ، يجمع بين المقت والسخط ، والعدوانية ، واللامبالاة أيضًا .

التقط (أمجد) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ أظننى سأتخذ كل الإجراءات الرسمية بالفعل ؛ للتحقيق مع ذلك الرجل ، وإجراء كل الفحوص اللازمة عليه ، حتى لو اضطررت لتشريحه حيًّا .

قالها ، واندفع يغادر المكان ، فانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يستل مسدسه ، قائلاً فى صرامة متوترة :

ـ فى ظروف كهذه ، أظن أن أفضل ما أفعله هو أن أبقى لحراستك وحمايتك يا (نور) .

ـ لست أظن هناك داعيًا لهذا يا صديقى .. (س ـ ١٨) هنا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واعتدل بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ رباه ! أين (س ـ ١٨) ؟!

قبل حتى أن يتم عبارته ، كان (أكرم) يندفع خارج حجرة (نور) ، ثم يتجمَّد فى مكانه مصدومًا ..

فهناك ، عند باب الحجرة ، لم يكن هناك وجود لـ (س ـ ١٨) ..

لقد اختفى ..

تمامًا .

★ ★ ★

٤ـ عملية تصفية ..

لم يستطع (أمجد) التوقف لحظة واحدة ، عن التفكير فى أمر الدكتور (سمير) ، وهو يقود سيارته ، عائدًا إلى مكتبه ، فى رياسة الجمهورية ..

كان يدرس كيفية إخبار الرئيس بالأمر ، وإقناعه باتخاذ قرارات حاسمة ، بشأن رئيس مركز الأبحاث ، التابع لأقوى جهة أمنية فى البلاد ، دون دليل مادى واحد يدينه ..

صحيح أن هناك عشرات القرائن ، التى تجعل الرجل موضع شبهات ، فى ظروف دقيقة ، ولكن بلا دليل مادى واحد ..

أى دليل ..

ربما أمكنه ، كمستشار أمنى خاص للرئيس ، طلب إجراء تحقيق شامل مع الرجل ، بمجرد الشك ، ولكن من الصعب ، دون أية أدلة ، أن يجبره على إجراء أية فحوص يتطلبها الأمر ..

وهو يحتاج إلى الكثير منها ..

الكثير جدًا ..

ظل عقله يدرس ..

ويدرس ..

ويدرس ..

حتى وصل مكتبه ..

وبينما يعبر بابه ، كان قد اتخذ قراره بحسم الأمر ، مهما كان الثمن ، و ...

وفجأة ، انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى الركن المظلم البعيد من حجرة مكتبه ، قائلاً فى صرامة :

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟!

برز الدكتور (سمير) من الركن ، فى هدوء عجيب ، وهو يبتسم ابتسامة مخيفة ، قائلاً :

ـ مدهش يا سيِّد (أمجد) .. على الرغم من سنوات عمرك ، فما زلت تتمتع بحواس نشطة وعقل يقظ .

كررَّ (أمجد) فى صرامة غاضبة :

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟!

هزَّ الدكتور (سمير) كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول :

ـ إنه أمر أبسط مما تتصورَّ ، مع تكنولوجيا تفوقكم بثلاثمائة عام على الأقل .

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما سحب (أمجد) مسدسه فى سرعة تفوق قدرات من فى مثل عمره بكثير ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هذا الاعتراف الصريح يكفينى .

هزَّ الدكتور (سمير) رأسه نفيًا فى هدوء ، دون أن يبدى أدنى اهتمام بفوهة المسدس القاتلة ، المصوبَّة إليه ، وهو يقول :

ـ هل تتصورَّ هذا حقًا ؟! لو أن عقلك يكتفى بقولى ، فهذا يثبت أنكم لم تتطورَّوا ذهنيًا بما يكفى .. كان ينبغى أن تسأل نفسك أوّلاً عدة أسئلة .. فلو أننى من كوكب آخر بالفعل ، فكيف تتطابق جيناتى مع جيناتكم .. وكيف تبدو

هيئتى كهيئتكم ، وكيف أتحدث لغتكم بهذه الطلاقة .. والسؤال الأهم هو : كيف وصلت إليكم ؟!

ابتسم (أمجد) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ كل هذا ستجيب عليه ، عندما يتم استجوابك ، و ...

تألقت عينا الدكتور (سمير) ، وهو يقول بلهجة عجيبة :

ـ وماذا ؟!

مع قوله ، شعر (أمجد) بشىء ما يخترق عقله ..

ويضربه ..

ويربكه ..

ويحجب عنه وضوح الرؤية ..

كان من الواضح أن قوةً ما تسعى للسيطرة على عقله ..

قوة هائلة ..

عنيفة ..

متطوِّرة ..

قاسية ..

وفى بطء هادئ واثق ، راح الدكتور (سمير) يقترب منه ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وارتج عقل (أمجد) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعلى الرغم من آلامه وتوتراته ، هتف (أمجد) ، مستنفرًا كل إرادته :

ـ إياك أن تفعلها .

ولكن ابتسامة الدكتور (سمير) اتسعت ..

وواصل الاقتراب ..

والتحدى ..

واللامبالاة ..

و ...

وضغط (أمجد) زناد مسدسه ..

كان يترنح ، من فرط الضغط الهائل ، الواقع على دماغه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد صوَّب مسدسه بقدر الإمكان ..

وأطلقه ..

وعبر الفوهة القاتلة ، انطلقت الرصاصة نحو رأس الدكتور (سمير) مباشرة ، و ...

وتوقفت ..

على الرغم من كل ما يتعارض مع هذا علميًّا ومنطقيًّا ، توقفت الرصاصة ، على بعد سنتيمترات قليلة من منتصف جبهته ..

توقفت ، كما لو أن المشهد كله قد تجمَّد دفعة واحدة ..

وبمنتهى الهدوء ، ابتسم الدكتور (سمير) ، قائلاً :

ـ لم تدركوا بعد أن العقل أيضًا يمكن تطويره .. أليس كذلك ؟!

غمغم (أمجد) ، ومسدسه يسقط من يده ، على الرغم عنه :

ـ لن .. لن تفلح أبدًا .

مطَّ الدكتور (سمير) شفتيه ، قائلاً :

ـ رائع .. إرادة مدهشة يا سيِّد (أمجد) .. لو أننى أواجه رجلاً آخر ، لانهار قبل خمس دقائق .. من الواضح أنك رجل أمن ممتاز ، كما يقول ملفك .

كانت الآلام رهيبة بحق ، ولكن (أمجد) راح يقاوم ..

ويقاوم ..

ويقاوم ..

أما الدكتور (سمير) ، فبدا مستمتعًا بالرصاصة ، المعلقة أمام جبهته ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى أيضًا رجل أمن ، أؤدى واجبى من أجل كوكبى ، وأقدر كثيرًا ما تفعله من أجل عالمك ، ولكننى مصر على إكمال مهمتى ، التى تسعون لإفسادها ، حتى لو اضطررت لـ ...

صمت لحظة ، ثم أضاف بمنتهى القسوة :

– للقتل .

مع كلمته ، انطلقت الرصاصة مرة أخرى ..

بكل قوتها ..

وسرعتها ..

ولكن فى الاتجاه المضاد ..

وبمنتهى العنف ، ارتطمت بصدر (أمجد) ، وانتزعته من مكانه ، ودفعته إلى الخلف ؛ ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط على وجهه ..

ومن موضع فى صدره ، انساب نهر صغير من الدم ..

أما الدكتور (سمير) ، فقد ظلّ هادئًا جامدًا ، وجسده يتلاشى ..

ويتلاشى ..

ويتلاشى ..

حتى اختفى تمامًا ..

دون أدنى أثر ..

* * *

فجأة ، تلقت أجهزة (س – ١٨) أمرًا ..

أمر حمل صوت ولهجة (نور) ..

ووفقًا لبرنامجه شديد التعقيد ، كان من الضرورى أن ينفذ الأمر ، مهما بلغت صعوبته ..

لذا فقد انطلق ..

انطلق بأقصى سرعة ، تسمح بها أجهزته ، متعقبًا إشارة ، لم يجد شبيهًا لها ، فى كل برامجه المسجلة ..

انطلق ..

وانطلق ..

وانطلق ..

ومع انطلاقته ، راح يغوص أكثر وأكثر فى أعماق الكون ..

ولكن الإشارة كانت تتلاشى بسرعة ..

وتتجه نحو بقعة سجلت أجهزتـه اضطرابًـا زمنيًـا مكانيًـا فيها ..

اضطراب غير محدود ..

وغير واضح ..

ولكن (س ـ ١٨) لم يتراجع ..

لقد انطلق خلف الإشارة ..

وزاد من سرعته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعبر الثقب ..

ثقب زمكانى شديد الاضطراب ..

وشديد العمق ..

ومـع اقتحـام (س ـ ١٨) لـه ، تـلاشت الإشـارة تمامًا ، وكأنها لم تكن ..

سجلت أجهزة (س ـ ١٨) هذا ..

ودرسته ..

وحاولت استخلاص نتائجه ..

ولكن النتائج لم تكن واضحة ..

لأوّل مرة ، فى تاريخ (س ـ ١٨) كله ، اضطربت أجهزتـه .. وتشابكت ..

وتعقدت ..

وفى أعمق أعماقه الرقميـة الإليكترونيـة ، راحت ملاييـن العمليات تحدث ..

وتدرس ..

وترتب ..

وتحلّل ..

واستدار (س ـ ١٨) محاولاً العودة ..

ولكن أجهزته عجزت عن هذا ..

فكل شىء حوله كان مضطربًا ..

مرتبكًا ..

ضائعًا ..

وكل ما حوله كان خارج الزمان ..

والمكان ..

والحدود ..

وانطلقت أجهزة (س ـ ١٨) تعمل ..

وتعمل ..

وتعمل ..

ثم فجأة ، توقف جسده كله عن الحركة ..

وانطفأت أضواء عينيه الآليتين ..

وراح جسده يسبح بلا هدف ..

عبر الزمكان ..

بلا نهاية ..

★ ★ ★

فى تفكير عميق ، وقف ذلك القائد يتطلّع إلى مدينته العظيمة ، تحت ضوء قمرى كوكبه ..

فما تم كشفه مؤخرًا ، كان يحمل تهديدًا خطيرًا لعالمه ..

ذلك العالم الذى قضى الأجداد مئات القرون ، ليصنعوا منه ما هو عليه الآن ..

حضارة عظيمة ..

قوية ..

متطوّرة ..

حضارة تقول كل الدراسات لديهم أنها أقدم حضارة ، فى الكون كله ..

حضارة استنفدت كل ما يمكن الحصول عليه من الأجساد ، فاتجهت إلى العقول والأدمغة ..

حضارة طوّرت تكنولوجيتها ..

وأجسادها ..

وعقولها ..

وعبر عدة قرون ، وبرنامج فضائى يتم تطويره كل يوم ، جابت حضارتهم معظم الكون ..

كشفت مجرات ..

وكواكب ..

وأقمار ..

رصدت مخلوقات بدائية ..

وعاقلة ..

ومتطوّرة ..

وسجلت عشرات الأنماط منها ..

وعشرات من سبل الحياة ، فى العوالم المختلفة ..

ومع كل كشف ، كانت قناعتها تتزايد ، فى أنها أرقى حضارة .. على الإطلاق ..

كل الحضارات الأخرى ، لم تبلغ أبدًا مرحلة الرقى العقلى والدماغى ، الذى بلغته هى ..

حتى تم رصد إشارة عقلية فائقة بغتة ..

كان العلماء قد طوّروا البرنامج الفضائى على التو ، وكشفوا الثقوب الزمكانية ، وكيفية رصدها ، والإفادة منها ، عندما تلقوا عبرها تلك الإشارة ..

إشارة تعنى أنه هناك مخلوقات دماغية متطوّرة فى الكون ..

مخلوقات قد تنافسها حضارتها ذات يوم ..

لذا فقد أطلقت جاسوسها (سويز) ؛ ليدرس الأمر ..

أطلقته مثل الفيروس ، فى العالم الشبيه ..

فيروس فضائى خاص ، يحيا متطفلاً على الأجساد ..

والعقـول ..

والمعلومات ..

وعندما أبلغهم (سويز) أن تلك الطاقة العقلية ، التى رصدتها أجهزتهم ، من الطرف الآخر للكون ، كانت حالة نادرة مؤقتة ، ارتاحت نفوسهم ..

ولكنهم لم يسترجعوا فيروسهم ..

كان عليه أن يبقى ..

وينتشر ..

ويستمر ..

ويرصد ..

ويسجل ..

ويرسل كل ما يتوصَّل إليه ..

و ...

« عميلنا نفذ مهمته الأولى بنجاح أيها القائد .. »

التفت القائد إلى الرجل فى بطء ، وهو يسأله :

ـ وماذا عن مهمتكم أنتم ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ تم تنفيذها أيضًا بنجاح .. الآلى الذى نعتبره أقوى أسلحتهم ، لم يمكنه تمييز الموجة المماثلة لصوت ولهجة سيده ، وقام بتنفيذ المهمة التى دفعناه إليها ، حتى ضل طريقه فى فراغ زمكانى دفعناه إليه ..

صمت القائد لحظة ، قبل أن يسأل :

ـ وما فرصته فى الخروج منه ؟!

أجاب الرجل فى سرعة :

ـ أقل من الصفر .

انعقد حاجبا القائد ، فاستدرك الرجل موضحًا :

ـ من أهم سمات الفراغ الزمكانى ، أنه يفتقر إلى أية إحداثيات واضحة ، مما يعنى أن ذلك الآلى ، الذى نجهل كيفية حصولهم عليه ، مع تكنولوجيتهم المتأخرة ، لن يمكنه تحديد موقعه ، أو خط سيره ، مما يعنى أن عليه أن يجرى ما يقرب من ستة مليارات عملية حسابية شديدة التعقيد ، ولسنا نظن طاقته كلها تكفى لفعل هذا .

زمجر القائد فى غضب مستنكر :

ـ تظنون ؟!

أشار الرجل بيده ، قائلا :

ـ فى أمور كهذه ، لا يمكن الوصول إلى الحسم الكامل أيها القائد .

مطَّ ذلك القائد شفتيه ، وكأنما لا يروقه الجواب ، ثم عاد يتلفت إلى مدينته العظيمة فى صمت ، فتساءل الرجل فى حذر :

ـ ماذا عن الباقين أيها القائد ؟!

جاوبه صمت القائد بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ دعه يكمل مهمته إلى النهاية .

وصمت لحظة جديدة ، ثم أضاف فى قسوة .

ـ إننا نحمى وجودنا .

ولم يزد بعدها حرفًا واحدًا ..

★ ★ ★

« ماذا تفعل بالضبط يا (نور) ؟! »

نطق (أكرم) العبارة فى عصبية ، وهو يتطلّع إلى (نور) ، الذى غادر فراش المرض ، وراح يرتدى ثيابه ، ثم تابع فى حدة ، عندما تجاهل (نور) سؤاله تمامًا :

ـ الأطباء أكدوا أنه لا يمكنك مغادرة فراشك ، قبل يومين آخرين على الأقل .

أجابه (نور) هذه المرة فى صرامة :

ـ الأطباء ليسوا مسئولين عن أمن عالم بأكمله يا صديقى ، ثم إننى أشعر بنشاط جم ، يجعل بقائى هنا مجرد إضاعة وقت .

لوَّح (أكرم) بيده ، قائلا ..

ـ ولكن الجميع يقومون بأعمالهم بالفعل يا (نور) ، فما الذى يمكن أن تفعله أنت ؟!

أدار (نور) عينيه إليه بنظرة صارمة ، مجيبًا :

ـ أقودهم .

هتف (أكرم) :

ـ أنت تقودهم من هنا بالفعل يا (نور) .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وشد قامته ، قائلاً :

ـ يبدو أن الأمر ليس بالبساطة التى تتصورَّها يا صديقى ، فالأمر لا يتعلق الآن بصحتى ، ولا بأوامر الأطباء .. إنه أعقد وأخطر من هذا بكثير .

تساءل (أكرم) فى توتر :

ـ أما زلت تصرّ على أن الدكتور (سمير) ...

قاطعه (نور) بمنتهى الحزم :

ـ إنه كذلك .

شد (أكرم) قامته بدوره ، وهو يقول :

ـ كنت أعلم أنه لا أحد فى هذا العالم ، يمكنه أن يفعل بى ما فعله .

أشار (نور) بسبابته، قائلاً فى حزم :

ـ ما فعله بك يعتبر أبسط ما يمكن أن ...

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه عن آخرهما، فانتفض جسد (أكرم)، وهو يهتف :

ـ (نور) (نور) ماذا أصابك ؟!

كان من الواضح أن (نور) يعانى من شىء ما، فقد ارتسمت على وجهه أمارات فزع رهيب، وراح يلوّح بذراعه كلها، وشفتاه منفرجتان، وكأنما يعجز عن قول شىء ما، فأمسك (أكرم) كتفيه، وهو يهتف بكل انفعال الدنيا :

ـ (نور) ماذا بك بالله عليك ؟!

لوّح (نور) بذراعه مرة أخرى، هاتفًا :

ـ (سلوى) .. (نشوى) ..

ـ صاح (أكرم)، وقد بلغ انفعاله مبلغه :

ـ ماذا بهما يا (نور) ؟! ماذا بهما ؟!

ولم يجب (نور) ..

لم يستطع لسانه نطق حرف واحد ..

فما التقطه ذهنه، فى تلك اللحظة، على نحو لم يدرك ماهيته قط، كان صورة مخيفة ..

رهيبة ..

إلى أقصى حد ..

وفى نفس اللحظة، التى رأى فيها عقله هذا، كانت (سلوى) و(نشوى) تعيدان اختبار تلك الإشارات العجيبة، التى سجلتها أجهزتهما، و(نشوى) تقول فى حسم :

ـ لم تعد لدى ذرة واحدة من الشك .. تلك الإشارات قادمة من الفضاء .. من أعمق أعماق الفضاء ..

سألتها (سلوى) فى قلق :

ـ هل يمكن أن تقطع الإشارات كل هذه المسافة، وتظل بهذه القوة ؟!

انفرجت شفتا (نشوى)، لتقول شيئًا ما، لولا أن انبعث من خلفها صوت هادئ، يقول :

ـ بتكنولوجيتكم مستحيل ..

استدارت الاثنتان فى سرعة وفزع ، إلى مصدر الصوت ، واتسعت عينا (سلوى) عن آخرهما ، فى حين هتفت (نشوى) فى حدة عصبية :

ـ دكتور (سمير) .. كيف دخلت إلى هنا ؟!

كانت عينا الرجل تتألقان على نحو مخيف ، وهو يقترب منهما ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، قائلا :

ـ لماذا يشغلكم جميعًا هذا السؤال السخيف ؟!

الانتقال عبر الزمان والمكان أمر ممتع ، ويتجاوز كل الحواجز والجدران والسدود .

ثم توقف ، مضيفًا بابتسامة رهيبة :

ـ ولكن تكنولوجيتكم لم تتوصّل إليه بعد .

ردَّدت (سلوى) بأنفاس مبهورة :

ـ تكنولوجيتنا ؟!

لم تنتبه وابنتها إلى أن أجهزتهما راحت تعمل بسرعة مخيفة ، وبرامجها تتداخل على نحو عجيب ، من خلف ظهريهما ، وهما تحدقان فى وجه الدكتور (سمير) ، الذى ابتسم ، قائلاً :

ـ نعم يا سيدتى .. تكنولوجيتكم .. التى وضعت أصابعها على التو ، على ما تعتبره فى عالمى تاريخًا علميًا قديمًا .

ثم مال نحوهما ، مضيفًا بلهجة مخيفة :

ـ على قوة العقل .

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تسأله :

ـ من .. من أنت بالضبط ؟! وكيف تشبهنا إلى هذا الحد ؟!

اعتدل الرجل ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول بعينين متألقتين :

ـ هذا ما أحاول كشفه بالضبط .

مع قوله ، أطلق أحد الأجهزة فجأة رنينًا متقطعًا ، جعل الاثنتين تلتفتان إليه بحركة حادة ، قبل أن تهتف (نشوى) فى ارتياع :

ـ رباه ! إنه يتلف أجهزتنا ..

وثبت محاولة إطفاء الجهاز ، قبل أن يتلف تمامًا ، إلا أنه قفز من أمام يدها بحركة عجيبة ، كما لو أن الحياة قد دبت فى دوائره الرقمية ، فشهقت متراجعة فى فزع ..

ومع شهقتها ، راحت الأجهزة تعلن محو كل ما تحويه ، واحدًا بعد الآخر ، فصاحت (سلوى) فى رعب :

ـ ما الذى تفعله بنا ؟!

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، وهو يجيب :

ـ معذرة يا سيدتى ، ولكن هذا ليس أمرًا شخصيًّا .

كانت عبارته فى نهايتها ، عندما شعرت كلتاهما بموجة هائلة من الطاقة تضرب دماغيهما ..

موجة أشبه بلطمة بالغة القوة ، أصابت مخيهما مباشرة ..

وشهقت (نشوى) ..

وصرخت (سلوى) ..

ثم سقطتا فى مكانيهما أرضًا دفعة واحدة ..

ومع خيوط الدم ، التى سالت من أنفيهما ، كانت الأجهزة كلها تعلن أن كافة برامجها قد محيت ، ولم تعد تحوى دليلاً على ما حدث ..

أى دليل ..

على الإطلاق ..

★ ★ ★

٥ ـ تاريخ ..

وحده راح قائد ذلك الكوكب الشبيه بالأرض ، ينطلق داخل مركبة كروية ، من مادة لها شفافية الزجاج ، وصلابة الفولاذ ، عبر ممر يشق منطقة الجبال ، المتاخمة لمدينته العظيمة ..

وبعد ست عشرة دقيقة ، من زمن ذلك الكوكب ، والذى يختلف بثوان قليلة عن زمننا الأرضى ، توقفت به تلك الكرة داخل فراغ هائل ، بدا وكأنه يحتلّ فراغ جبل بأكمله ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلّ القائد جالسًا داخل الكرة ، يتطلّع فى صمت إلى عشرات من أجهزة قديمة متهالكة ، بدت وكأنها ملقاة داخل ذلك الفراغ ، منذ آلاف السنين ..

ثم غادر مركبته ، وراح يتجوّل وسط الأجهزة ، داخل ذلك الفراغ ، الذى تضيئه كرات ضوئية حديثة ، تسبح بالقرب من سقفه ..

كانت الأجهزة متناثرة ..

متهالكة ..

متآكلة ..

إلا أنه راح يتطلّع إليها فى شغف عميق ، قبل أن يتوقف عند أحدها ، قائلاً :

ـ ترى أى سر تخفونه ؟! ومنذ متى تقبعون هنا ؟! قرن كامل من الزمان مضى ، منذ كشف وجودكم ، ولم نعلم بعد من أتى بكم ؟! وكيف ؟!

كان من الواضح أن الشغف يغمر نفسه ، لمعرفة سر تلك الأجهزة ، التى كشفتها بعثة أثرية ، منذ قرن كامل ، داخل الفراغ الصناعى ، فى قلب أحد الجبال ..

وأنه يجهل ماهيتها تمامًا ..

فمن المؤسف أن أجداده القدامى قد اهتموا ببناء حضارتهم وتطويرها ، بأكثر مما اهتموا بتدوينها .

لذا ، فما زالت لديهم فجوة هائلة ، فى مسار تاريخهم ..

لا أحد منهم يعلم كيف كانت البداية ..

أو متى ..

كل ما يعلمونه ، أن تاريخهم المكتوب قد تم رصده وتدوينه ، مع تطوّر العلوم فحسب ..

ولا أحد حتى يعلم لماذا ؟!

لماذا تم تجاهل تدوين التاريخ على هذا النحو ؟!

ولقد تقبل عالمه هذا ، وتعايش معه لمئات السنين ، حتى تم كشف ذلك التجويف الصناعى ، وما يحويه من أجهزة ..

فوفقًا لتقارير الخبراء ، تقبع تلك المعدات القديمة ، فى ذلك التجويف ، منذ آلاف السنين ..

ولكن تكنولوجيتها كانت تنتمى إلى قرنين من الزمان فحسب ..

وهذا أكبر لغز واجهه كوكبه ..

اللغز الأكبر ، هو أن ما تبقى من تلك الأجهزة يحمل عبارات ، بلغة تقارب اللغة التى يتحدثون بها بالفعل ..

وهذا يعنى أنها تنتمى إليهم ..

على نحو ما ..

فكيف ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

ومنذ تولى القيادة ، اعتبر أن معرفة سر تلك الأجهزة ، هو أحد أسباب وأهداف حياته ..

ولقد منح الدارسين كل الإمكانيات المطلوبة ..

كل التسهيلات ..

والاعتمادات ..

والسلطات ..

ولكن برامج الأجهزة كلها كانت تالفة ، على نحو لا يمكن إصلاحه ..

مهما كانت الاعتمادات ..

لذا فقد بقى الأمر لغزًا ..

لغز لم يمكن سبر أغواره أبدًا ..

حتى تم كشف وجود كوكب الأرض ، أو (بلوكا) ، كما يطلقون عليه فى عالمه ..

وكشف مخلوقاته العاقلة ..

المتطوّرة ..

المتطابقة معهم ..

تقريبًا ..

عندئذ قفز إلى ذهنه تساؤل ..

ماذا لو ...

ولم يكتمل ذلك التساؤل أبدًا ..

فقد كان لا بد من التيقن أولاً ..

التيقن تمامًا ..

ولهذا كانت المهمة ..

وكان إرسال (سويز) ..

لمعرفة الجواب ..

وبأى ثمن ..

أى ثمن ..

على الإطلاق ..

* * *

« حالة ارتجاج عنيف فى المخ .. »

نطق طبيب قسم الطوارئ العبارة ، وهو يثبت أجهزة الإعاشة ، فى جسد (سلوى) ، و(أكرم) يقول فى غضب :

ـ ذلك الوغد .. لو أننى وضعت يدى عليه ، فأقسم أن .

استوقفه (نور) بإشارة صارمة متوترة من يده ، وهو يسأل الطبيب :

ـ أليس من العجيب أن تصاب ابنتى وزوجتى بارتجاج عنيف فى المخ ، فى آن واحد .

أجابه الطبيب فى حيرة :

ـ هذا عجيب بالفعل أيها المقدَّم ، خاصة وأننا قد فحصنا رأسيهما جيدًا ، بحثًا عن أية إصابات ، تبرر أصابتيهما ، إلا أننا لم نجد أثرًا لأية إصابات ، باستثناء ما أصابهما مع السقوط .

شعر (نور) بغصة فى حلقه ، وهو يتساءل :

ـ وهل .. هل ستتجاوزان هذا ؟!

هزَّ الطبيب رأسه ، وزفر فى توتر ، مجيبًا فى خفوت :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا .

كان الجواب مقلقًا للغاية ، حتى إن (نور) قد شعر بغضب هائل حزين ، يجتاح مشاعره كلها ..

ابنته وزوجته تواجهان خطر الموت ..

أو العجز ..

أو الضياع فى غيبوبة عميقة دائمة ..

وهو عاجز عن إيجاد دليل .

دليل واحد ، يكفى إدانة المسئول عن هذا ..

« لن أنتظر أدلة يا (نور) .. »

نطق (أكرم) العبارة فجأة ، وهو يسحب مسدسه ، ويشد مشطه فى غضب ، فالتفت إليه (نور) ، قائلاً فى دهشة :

ـ لماذا قلت هذا ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يلوِّح بمسدسه فى صرامة :

ـ كنت تتحدث عن الأدلة ، و ...

قاطعه (نور) ، فى اهتمام متوتر :

ـ إننى لم أقل شيئًا .

حدق فيه (أكرم) بمنتهى الدهشة ، مغمغمًا :

ـ ولكننى سمعتك فى وضوح يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة والعبارة تتردَّد فى رأسه .

« سمعتك فى وضوح .. »

« سمعتك .. »

« سمعتك .. »

وفجأة ، أمسك كتفى (أكرم) فى قوة ، قائلاً :

ـ (أكرم) .. ذلك الجهاز فعل شيئًا ما بعقلى .

انحبست أنفاس (أكرم) ، وهو يسأله :

ـ أى شىء يا (نور) ؟!

هز (نور) رأسه ، وهو يقول فى حيرة :

ـ لست أدرى يا صديقى .. لست أدرى .

مع قوله ، ونظرة الحيرة فى عينى (أكرم) ، اندفع (رمزى) داخل المكان ، وهو يقول فى اضطراب :

ـ ماذا أصاب (سلوى) و(نشوى) ؟!

التفت إليه (نور) ، وقال محاولاً تهدئته :

ـ الأطباء يولونهما كل الرعاية يا (رمزى) .

صاح (رمزى) بكل الغضب :

ـ ذلك الوغد .. إنه يسعى لتصفيتنا جميعًا بلا رحمة .. أولاً السيد (أمجد) ، ثم ...

لم يكد يأتى على ذكر (أمجد) ، حتى انتفض جسد (نور) فى عنف ، وهو يقول :

ـ ماذا أصاب السيد (أمجد) ؟!

أجابه (رمزى) فى مرارة :

ـ أصابته رصاصة فى صدره ، والأطباء يحاولون جاهدين إنقاذ حياته الآن ، و ...

قاطعه (أكرم) ، وهو يهتف فى غضب هادر :

ـ يا للوغد !

نطقها ، ثم اندفع يعدو عبر ممر المستشفى ، فهتف به (نور) :

ـ (أكرم) .. انتظر ..

ولكن (أكرم) لم يتوقف ..

كان الغضب قد سرى فى كيانه كله ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، حتى أعمى عقله تمامًا عن التروى والتفكير ..

إلا (أمجد) ..

إلا أستاذى ، الذى يقدره ويحترمه ، على نحو لم يحدث من قبل ..

إنه لن ينتظر أدلة أو براهين ..

ذلك الوغد أصاب (أمجد) و(سلوى) ، و(نشوى) ..

ولا بد وأن يدفع الثمن ..

دون أدلة ..

ودون انتظار ..

كان يعدو حاملاً مسدسه ، مما أثار موجة من الذعر فى المستشفى ، ولولا أن رجال الأمن كانوا يعلمون هويته ، لانقضوا عليه بلا روية ..

ومن حسن حظهم أنهم لم يفعلوا ..

ففى ظروف كهذه ، لم يكن (أكرم) ليسمح لأى مخلوق باعتراض سبيله ..

أية مخلوق ..

على الإطلاق ..

وبكل انفعاله وغضبه ، وثب داخل سيارته التقليدية ، ومد يده ليدير محركها ، و ...

« لماذا تأخرت ؟! »

أتى الصوت من خلفه مباشرة ، بلهجة ساخرة صارمة ، فرفع عينيه إلى مرآة السيارة الداخلية بحركة حادة ..

ورآه ..

رأى الدكتور (سمير) ، يجلس فى المقعد الخلفى ، مبتسمًا فى سخرية ، وعيناه تلتمعان على نحو عجيب ..

وبكل توتره ، وعلى الرغم من المفاجأة ، استدار (أكرم) بمسدسه إلى خصمه الرهيب ، و ...

وفجأة ، حدث ما حدث ..

لقد شعر وكأنما ارتطم بحاجز خفى قوى ..

ثم ارتد جسده بعنف ..

بمنتهى العنف ..

ومع ارتدادته ، اصطدم صدره بعجلة القيادة ..

وسمع صوت أضلاعه تتحطم ..

ثم غامت الدنيا أمام عينيه ..

وسقط .

سقط إلى الأمام ، وضغط جسده على النفير ، الذى انطلق فى قوة ، و(نور) و(رمزى) يعدوان نحو السيارة ..

أما جسد الدكتور (سمير) ، فقد راح يتلاشى ..

ويتلاشى ..

ويتلاشى ..

* * *

انعقد حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى توتر ، وهو يواجه (نور) و(رمزى) فى حجرته ، قائلاً :

ـ ما تقولانه خطير للغاية ، وليس لديكما دليل واحد على صحته .

شد (نور) قامته ، وهو يقول :

ـ أنا واثق مما أقول يا سيِّدى .

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ وأنا واثق من أنك تعنى ما تقول يا (نور) ، ولكن الدكتور (سمير) رئيس مركز الأبحاث ، وهذا منصب رفيع للغاية ، ويعنى تحريات أمنية مكثفة ، وثقة لا تتطرق إليها ذرة واحدة من الشك ، قبل أن يتبوأ منصبه .

قال (نور) فى حذر :

ـ سيدى القائد الأعلى .. الأمر أخطر من أن تعيقه مجموعة من الإجراءات الروتينية .. إننا نواجه خصمًا لا يعرف الرحمة أو الشفقة ، ولقد تسبب بالفعل فى مجموعة من الكوارث الأمنية ، وفى إصابة السيد (أمجد) ، وزوجتى ، وابنتى ، وزميلى (أكرم) ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم من يمكن أن يصاب ، لو انتظرنا أكثر .

تطلَّع إليه القائد الأعلى بضع لحظات فى قلق ، قبل أن يميل إلى الأمام ، قائلاً :

فى توتر :

ـ الواقع أننا قد واجهنا الدكتور (سمير) باتهاماتكم هـذه ، بعد إصابة السيد (أمجد) ، وقمنا بفحص حمضه النووى ، ولكنه تطابق مع المسجل فى ملفه تمامًا .

تساءل (نور) :

ـ وماذا لو أن المسجل فى ملفه قد تم العبث به ، ليتطابق مع عينة الحمض النووى لذلك الذى نعتبره الدكتور (سمير) .

أشار القائد الأعلى بكفه ، قائلاً :

ـ العبث بملف أمنى ليس أمرًا هينًـا أيهـا المقدم ، وأنـت خير من يعلم هذا .

قال (نور) فى حزم :

ـ ربما ينطبق هذا على عالمنا وحده يا سيدى .

سأله القائد الأعلى فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى حزم أكثر :

ـ أعنى أنه لو أتى ذلك الشخص من عالم يفوقنا تقدمـًا ، فلن يصعب عليه العبث بأنظمتنا كلها ، التى ستبدو بالنسبة إليه تكنولوجيا متخلفة بسيطة ، مهما بلغ تعقيدهـا بالنسبة لنا .

كان الاحتمال واردًا ومخيفًا ، حتى القائد الأعلى قد تراجع فى مقعده ، وداعب ذقنه بسبَّابته وإبهامه فى توتر ، قبل أن يقول :

ـ وكيف يمكن حسم أمر كهذا ؟! لا يمكننى تقديم مسئول أمنى للمحاكمة ، أو توجيه أى اتهام إليه ، دون دليل إدانـة واحد .. ولا تنـس أنـه سيدافع عن نفسـه بإثـارة الشبهات حولك شخصيًّا يا (نور) ، خاصة وقد سبق له اتهامك بـأنك المسئول عن كل ما أصاب نظمنا الأمنية ، بل وشكك فى هويتـك العقلية أيضًا .. سيقول مستندًا إلى الإشـارات التـى سجلها مخك ، أثنـاء وقوعك فى غيبوبتك إنـك تحـاول إزاحتـه عن الطريق ؛ لأنه كشف أمرك ، ستصبح كلمتك مقابل كلمتـه ، ومصداقيتـك مقـابل مصداقيتـه ، ولديـه قرائـن ومسـتندات ، تفتقر أنت إليها .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

ـ إذن فسأتحول أنا إلى متهم ، وسيصبح هو جهة الاتهام .

أشار القائد الأعلى بيده ، مجيبًا :

ـ بالضبط .

أدار (رمزى) عينيه بينهما ، ثم قال فى حزم :

ـ وماذا لو أنه لدينا دليل بالفعل ؟

التفت الاثنان إليه ، وتساءل القائد الأعلى فى لهفة :

ـ أى دليل هذا ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة :

ـ ملفه النفسى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى بنظرة متسائلة ، فتابع (رمزى) .

ـ لقد راجعت ملفه النفسى القديم ، ووجدت تعارضًا شديدًا ، بينه وبين الطبيعة النفسية ، للرجل الذى واجهته بنفسى ، والذى يحمل هوية الدكتور (سمير) .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده فى بطء ، فى حين انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس ما قاله (رمزى) ، قبل أن يقول القائد الأعلى :

ـ لست أظن هذا دليلاً قويًّا .

هتف (رمزى) معترضًا :

ـ وكيف هذا ؟! إننى خبير نفسى معتمد ، وعضو فى فريق (نور) ، وشهادتى لها وزنها ، فى كل المحافل العلمية .

وافقه القائد بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ـ لست أنكر كل هذا ، ولكن تغير الحالة النفسية للمرء أمر وارد ، وقد يتسبَّب فى إعفاء الرجل من منصبه ، ولكن ليس فى اعتقاله ، أو توجيه اتهامات إليه .

قال (رمزى) معترضًا :

ـ ولكن يا سيِّدى ..

قاطعه (نور) ، قائلاً :

ـ القائد الأعلى على حق .

التفت إليه (رمزى) مستنكرًا ، فتابع بكل الحزم :

ـ ولكن ما توصَّلت إليه نبهنى إلى نقطة أخرى .. نقطة قد تحسم هذا الصراع تمامًا ..

لحظتها بدت كلماته غامضة ..

للغاية ..

★ ★ ★

استقبل الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين (نور) بابتسامة هادئة ـ وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .. لقد فوجئت بالفعل باتصالك بى ، و...

قاطعه (نور) فى توتر :

ـ معذرة لمقاطعتك يا دكتور (حجازى) ، ولكننى أتيت فى أمر عاجل للغاية .

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ أهو يخص تلك العينة ، التى أرسلها لى السيِّد (أمجد) ؛ لفحص حمضها النووى ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ هل أنهيت فحصها بالفعل ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ الأمر يستغرق لحظات فى عصرنا هذا يا (نور) ، ولقد أنهيت الفحص بالفعل ، ووجدت تطابقًا تامًا ، مع أحد الملفات الأمنية .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ ملف الدكتور (سمير) .

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إليه فى حيرة ، وهو يقول :

ـ بالضبط .. حتى إننى لا أدرى لماذا تم إرسالها إلىَّ بالتحديد ، فأى معمل بسيط ، كان يمكنه التوصُّل إلى النتيجة نفسها .

قال (نور) فى حزم :

ـ هذا صحيح ، ولكننى لا أطلب النتيجـة ، التـى يمكن أن يمنحنى إياها أى معمل بسيط .

التقط الدكتور (حجازى) نفسًا متوترًا ، قبل أن يسأله :

ـ ما الذى تنشده بالضبط يا (نور) ؟!

شد (نور) قامته ، مجيبًا :

ـ فحصًا جينيًّا شاملاً ، مع مقارنة النتـائج بالمسجل فى الملفات ، لوالدى الدكتور (سمير) .

تراجع الدكتور (حجازى) فى دهشة ، قائلاً :

ـ (نور) .. لست أظنها قضية إثبات بنوة ؟!

أجابه (نور) :

ـ بل هى كذلك فى الواقع يا دكتور (حجـازى) ، فـالرجل الذى ينتحل هيئـة وشـخصية الدكتـور (سمير) كمـا نظن ، أمكنـه بوسيلة مـا أن يخترق شـبكة المعلومـات الأفقيـة ، ويستبدل المواصفـات الجينيـة للدكتـور (سـمير) الأصلـى ، بمواصفاته هو .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) ، وهو يردِّد :

ـ ينتحل هيئة وشخصية الدكتور ؟!

غمغم (رمزى) :

ـ ونشك أيضًا فى أنه من خارج عالمنا .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) أكثر ، فقال (نـور) فى توتر :

ـ فلنؤجل الدهشة لما بعد يا دكتـور (حجـازى) ؛ وأعدك أن أروى لك القصة كلها فيما بعد ، أما الآن ، فمصير العـالم كله قد يتوقف على دقيقة نضيعها .

اعتدل الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى حزم :

ـ فليكن .

قالهـا ، وأسـرع يعيـد فحـص العينـة ، ويـزود الكمبيوتـر بالبيانات الجديـدة الأكثر دقـة ، ثم ضغط زر تشـغيل جهـاز الفحص ، والتفت إلى (نور) ، يسأله بكل الاهتمام :

ـ ما نظرتك بالضبط يا (نور) ؟!

تعلق نظر (نور) بجهاز الفحص ، وهو يجيب :

ـ فى البداية ، كنت أتصورّ أن ذلك الشىء قد أحسن تحوير ملف الدكتور (سمير) ، وأننا لن نجد فيه لمحة واحدة ، يمكن أن تكشف هويته الحقيقية ، حتى انتبه (رمزى) إلى أن الملف النفسى له لم يتغير ، وهنا تساءلت : ماذا أيضًا لم يتغيّر ، ثم افترضت أنه قد أبدل مواصفات الدكتور (سمير) الجينية ، ولكنه لم يهتم بإبدال المواصفات الجينية لوالديه ، ولما كان ملفه يؤكد أنه ليس طفلاً متبنى ، فلو لم تتطابق نصف مواصفات عينته ، مع أحد والديه ، فسيصبح هذا دليلاً على أن الموجود حاليًا ليس الدكتور (سمير) الذى نعرفه .

حدّق فيه الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم تمتم مبهورًا :

ـ عبقرى كعهدى بك يا (نور) .

ثم أدار عينيه بدوره إلى الجهاز ، الذى أطلق أزيزًا خافتًا ، معلنًا انتهاء الفحص ، فخفق قلب (رمزى) بشدة ، وانعقد حاجبا (نور) ، فى حين غمغم الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ عجبًا ! الجهاز يعجز عن العثور على المواصفات الجينية لوالدى الدكتور (سمير) .

هتف (رمزى) فى حنق :

ـ لقد انتبه الوغد لما يمكن أن نفعله ، ومحا مواصفاتهما ؛ ليمنع إجراء الفحص المقارن .

تراجع (نور) فى توتر شديد ، وقد تضاعف انعقاد حاجبيه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

فالواقع إن هذه كانت محاولته الأخيرة ..

ولقد خسرها ..

خسر فرصته فى كشف هوية خصمه ..

ومواجهته ..

واتهامه ..

وكان هذا يعنى أنه يخسر أهم معركة فى حياته ، و...

« عجبًا ! » .

اعتدل (نــور) بحركــة حــادة ، عندمــا نطـق الدكتــور (حجازى) الكلمة ، وانتبهت حواسه كلها ، وهو يتساءل :

ـ هل توصل الجهاز إلى أمر ما ؟!

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إليه ، مجيبًا :

ـ الجهــاز توصَّل إلى أمـر عجيب يا (نـور) .. عجيب للغاية .

وخفق قلبا (نور) و(رمزى) ..

بمنتهى العنف .

★ ★ ★

٦ ـ لعبــة زمــن ..

ارتيــاح شـديد ، غمـر كيـان القـائد كلــه ، عندمــا أخـبره مستقبل الاتصالات العقليـة الفائقـة ، بمـا آل إليـه الأمـر فـى (بلوكا) ..

فى أرضنا ..

وبكل ذلك الارتياح ، قال :

ـ إذن فقد تخلص (سويز) بـالفعل مـن تسـعة أعشــار الخطر ، الذى يتهدَّد مهمته .

تردَّد الرجل لحظة ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ هذا يتوقف على طريقة حساب الأمور أيها القائد .

ضاقت عينا القائد ، وهو يسأل :

ـ ماذا تعنى ؟!

تردَّد الرجل لحظة أخرى ، قبل أن يندفع ، قائلاً :

ـ الخبراء هنا لا يعتبرون التخلص من ذلك الآلى ، يمثل معظم العملية أيها القائد ؛ فوفقًا لملاحظات رجلنا ، يعتبر قائد تلك المجموعة العلمية هو الأكثر خطورة .

التقى حاجبا القائد ، وهو يقول فى توتر :

ـ وكيف هذا ؟! إنه مجرد رجل واحد .

قال الرجل فى سرعة :

ـ ولكن ملف انتصاراته بحجم جيش كامل .

تراجع القائد فى مقعده ، وراح يحك ذقنه بضع لحظات ، قبل أن يقول فى قلق :

ـ ولماذا لم يقض عليه (سويز) ؟!

قال الرجل فى حذر :

ـ من المؤكد أن لديه أسبابه .

زمجر القائد ، قائلاً فى غضب :

ـ فليبد أسبابه تلك إذن ، أو فلينفذ مهمته دون إبطاء ، ويبلغنا بالنتائج فورًا .

أومأ الرجل برأسه ، قائلاً :

ـ كما تأمر أيها القائد .. كما تأمر .

قالها ، واندفع إلى حجرة الاتصالات العقلية الفائقة ؛ ليبث الأوامر إلى أخطر العملاء ..

أوامر القضاء على (نور) ..

تمامًا ..

* * *

« ما الذى توصل إليه الجهاز بالضبط ؟! »

ألقى (نور) سؤاله ، على كبير الأطباء الشرعيين ، بكل لهفة الدنيا ، فاعتدل الرجل ، وأجاب فى توتر ، يوحى بغرابة النتيجة ، التى حصل عليها ، على الرغم من خبرته الطويلة :

ـ عندما نقوم بفحص عينة أنسجة ، لاستخلاص مواصفات الحمض النووى ، تتجه معظم البرامج الذكية الحديثة إلى اختصار وقت البحث ، عن طريق الاقتصار على الأحياء ،

والموتى فى حدود عشرة أعوام ماضية فحسب ، ما لم يتم تحديد غير هذا ، وحتى بعد التطوير ، يتم توسيع دائرة البحث ، إلى كل الملفات المسجلة ، ولكننى فى هذه المرة ، طلبت إجراء فحص شامل كامل عالمى ، بحيث تشمل دائرة البحث كل عينة جينية مسجلة ، فى أى مكان فى العالم .

تساءل (نور) فى توتر :

ـ وهل أسفر هذا عن نتائج أخرى ؟!

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وبدا مترددًا لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ نعم يا (نور) .. الفحص أجرى مقارنة ، بين بعض الجينات فى العينة ، وجينات أخرى مسجلة ، فى متحف التاريخ الطبيعى ، بالولايات المتحدة الأمريكية .

غمغم (رمزى) فى دهشة :

ـ متحف التاريخ الطبيعى ؟!

أما (نور) ، فقد أرهف سمعه تمامًا ، وانعقد حاجباه فى شدة ، والدكتور (حجازى) يضيف ، فى صوت مرتجف ، من فرط الانفعال :

ـ نعم .. مع إنسان الجليد .

تراجع (نور) بحركة حادة ، فى حين قال (رمزى) بمنتهى الدهشة :

ـ إنسان الجليد ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال موضحًا :

ـ نعم .. إنه آدمى ، من عصور ما قبل التاريخ ، تم العثور على جسده كاملاً ومجمدًا تمامًا ، منذ بضع سنوات ، فى شمال (ألاسكا) (*) ، ولقد أثبت فحص حمضه النووى ، حدوث تغيرات جينية طفيفة ، فى النسيج البشرى ، عبر القرون .

(*) ألاسكا : ولاية شمال غرب (أمريكا الشمالية) ، أصبحت الولاية الأمريكية التاسعة والأربعين ، عام ١٩٥٨ م ، تضم جزر (ألويتان) ، وجزر (بريبلون) ، وجزيرة (كودياك) ، وجزيرة (سانت لويس) .

تراجع (نور)، متسائلاً فى دهشة عصبية :

ـ هل تعنى أن الحمض النووى لعينة أنسجة الدكتور (سمير)، يتشابه مع تلك التغيرات الطفيفة، الموجودة فى أنسجة إنسان الجليد .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا، وهو يقول :

ـ ليس هذا فحسب يا (نور)، ولكن تلك التغيرات لم تتشابه أيضًا، مع أية عينة أخرى، فى العالم كله .

اتسعت عينا (نور) و(رمزى)، وغمغم الأخير بصوت منفعل :

ـ دكتور (حجازى) .. لا تقل لى إن هذا يعنى أن ذلك الذى ينتحل شخصية الدكتور (سمير) قد جاء من .. من ..

قاطعه الدكتور (حجازى)، بصوت أكثر انفعالاً :

ـ نعم يا (رمزى) .. لقد جاء من ماضينا .. ماضينا السحيق .

ومرة أخرى، تفجرت الدهشة ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

مع تلقى أوامر كوكبه، بالقضاء على (نور) فورًا، انعقد حاجبا الدكتور (سمير)، بكل توتر الدنيا، وهو يتراجع فى مقعده، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه، مفكرًا فى عمق ..

إنه أحد أبرز رجال الأمن فى عالمه، وأكثرهم براعة وقوة ..

ولأنه كذلك، فهو يحترم كل رجال الأمن ..

مهما كانت جنسياتهم ..

أو عوالمهم ..

ولكنه ليس قاتلاً ..

حتى فى مواجهاته مع (نور) وفريقه، حرص على ألا يقتلهم ..

فقط أصابهم إصابات عنيفة، تكفى لإيقاف نشاطاتهم المتقدمة، قبل أن يفسدوا مهمته ..

أما الأوامر المباشرة ، التى تلقاها بشأن (نـور) ، كـانت تطالبه بالقتل ..

دون رحمة ..

أو شفقة ..

أو روية ..

أو تفكير ..

فقط أن يقتل ..

وهذا يملأ نفسه بتوتر غير محدود ..

فـ (نور) بالنسبة إليه ، كان رمزًا محترمًا لرجل الأمن ..

وهو يكره قتل مثل هذا الرمز ..

ويكره أكثر أن يتجاوز أوامر قائده ..

ومصالح عالمه ..

لقـد قضـى فـترة طويلـة فـى الأرض ، يسـعى لكشـف ما يربطها بكوكبه ، حتى اعتادها ..

وألفها ..

وأحبها ..

إلا أنه لم يسبر شيئًا من تاريخ بنى جنسه عليها قط ..

ما زالت هناك نقاط غامضة ..

مبهمة ..

مفقودة ..

فوفقًا للمنهـج العلمـى ، يبـدو أن الكوكبين ينتميـان إلـى أصول واحدة ..

أصول متطابقة ، بنسبة سبعة وتسعين فى المائة ..

وهو يبحث عن الثلاثة فى المائة المتبقية ..

عن الأصول ..

والتاريخ ..

والروابط ..

ولكن (نور) اقتحم عقله لسبب ما ..

وكشف أمره ..

وأجبره على تغيير مسار مهمته ..

وتحوير هدفه الرئيسى ..

وهذا يعنى حتمية أن يقاتل ..

ويقتل ..

وإلا اضطر إلى اللجوء إلى الخيار الأخير ..

والوحيد ..

فما دامت الأرض تهدد تفوق عالمه ، فعليه أن يسعى لإزاحتها عن الخريطة الكونية بأكملها .

أو بمعنى أدق ، عليه أن يدمرها تمامًا ..

وأيضًا بلا رحمة ..

* * *

«وهل قررت أن تواجهه يا (نور) ؟!»

ألقى (رمزى) سؤاله فى توتر ، و(نور) ينطلق معه بسيارته ، عبر شوارع (القاهرة الجديدة) ، فى طريقها إلى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، فأجابه (نور) فى حزم :

ـ لست أظن هذا إجراءً صحيحًا ، فى ظروف كهذه .

تساءل (رمزى) فى حيرة :

ـ لماذا نتجه إلى مركز الأبحاث إذن ؟!

صمت (نور) لحظة ، ثم أجابه :

ـ بطاقاتنا الأمنية ، غير القابلة للتزوير ، تسمح لنا بتجاوز كل مستويات الأمن ، فى مركز الأبحاث .

غمغم (رمزى) ، فى حذر قلق :

ـ هذا صحيح .

أجابه (نور) :

ـ سنستغل هذا إذن ، لاستعارة جهاز متقدم .

سأله (رمزى) فى توتر :

ـ أى جهاز هذا ؟!

صمت (نور) لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :

ـ جهاز الفحص العقلى .

هتف (رمزى) :

ـ الذى استخدمه معك فى المستشفى ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ بالضبط .

حدَّق فيه (رمزى) بضع لحظات فى دهشة ، قبل أن يتساءل :

ـ هل ترغب فى فحصه يا (نور) ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، مجيبًا :

ـ بل أنوى استخدامه .

انتفض جسد (رمزى) ، وهو يتساءل فى ذعر :

ـ استخدامه ؟! كيف ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ فى المرة السابقة ، عندما استخدمت ذلك الجهاز ، انطلق عقلى بلا حدود ، وتجاوز كل المستويات .

هتف (رمزى) :

ـ وكاد يقتلك أيضًا يا (نور) .

قال (نور) فى حزم أكثر :

ـ هذا مجرد احتمال .. تمامًا مثل احتمال أن يمنحنى قوة عقلية ، تجعلنى قادرًا على مواجهة ذلك الشىء .

حدَّق فيه (رمزى) مرة أخرى ، ثم هزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لا يا (نور) .. لن أسمح لك باستخدام ذلك الجهاز أبدًا .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ وفقًا لمستويات القيادة ، أظن أن هذا ليس من حقك يا (رمزى) .. كل ما تملكه هو خيار واحد .. هل ستعاوننى فى تنفيذ خطتى ، أم أقوم بها وحدى ؟!

وعضَّ (رمزى) شفتيه فى توتر بالغ ..

فمع طول عمله مع (نور) ، أدرك تمامًا أنه لا يتخذ قراراته إلا عن اقتناع تام ..

وأنه لا يتراجع عنها قط ..

مهما كانت الأسباب ..

ومهما كانت النتائج ..

لذا ، فعلى الرغم من عدم اقتناعه بالفكرة ، أجاب :

- أنا معك دائمًا يا (نور) .

ولم يتبادلا بعدها كلمة واحدة ، حتى بلغا مركز الأبحاث ..

وكما قال (نور) ، سمحت لهما بطاقتيهما الأمنيتين ببلوغ كل المستويات ، حتى التقيا برئيس قسم الأبحاث العقلية ، والذى استقبلهما بتوتر حقيقى ، ودهشة قلقة ، وهو يقول :

- سيادة المقدم (نور) ، لقد أخبرونا أن ..

قاطعه (نور) فى حزم :

- أين الجهاز الذى استعاره الدكتور (سمير) ؟!

قال الرجل فى دهشة :

- جهاز فحص الموجات العقلية ؟!

كرَّر (نور) فى صرامة :

- أين هو ؟!

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلاً :

- فى مكتبه .. إنه لم يعده بعد ، وربما ..

مرة أخرى قاطعه (نور) ، قبل أن يتم عبارته ..

ولكنه لم يقاطعه بالكلمات ..

وإنما بالحركة ..

فدون انتظار ، انطلق مع (رمزى) نحو مكتب الدكتور (سمير) ، فى الطابق الرابع من المبنى ..

وفى حجرته ، وعلى شاشة راصده الخاص ، شاهد ما الرجلان يتجهان إليه ..

وانعقد حاجباه فى صرامة ..

ولكنه لم يغادر مقعده ..

لقد ظل جالسًا ..

هادئًا ..

صارمًا ..

مترقبًا ..

وعند باب مكتبه ، استوقف حارساه الخاصان (نور) و(رمزى) ، وقال أحدهما فى صرامة :

ـ معذرة يا سيادة المقدم ، ولكن صلاحياتك الأمنية لاتسرى هنا ، فلا بد من ..

قبل أن يتم عبارته ، وثب (نور) يركله فى فكه ، قائلاً فى صرامة :

ـ وماذا عن صلاحياتى الجوية .

سقط الحارس أرضًا ، فى نفس الوقت الذى سحب فيه زميله مسدسه الليزرى ، هاتفًا :

ـ رباه ! ماذا تفـ ...

أخرسه (نور) بلكمة قوية ، فى أنفه مباشرة ، قبل أن ينقضّ على باب حجرة الدكتور (سمير) ، قائلاً :

ـ أعلم أنكما تؤديان واجبيكما ، ولكن ...

توقف ليطلق أشعة مسدسه الليزرية على رتاج الباب ، ثم يركله بقدمه ، مضيفًا فى أسى :

ـ للضرورة أحكام ..

اقتحم المكتب مع (رمزى) ، وكلاهما يحمل مسدسًا ليزريًّا ، و ...

« رائع .. »

استقبلهما الدكتور (سمير) بهذه الكلمة الهادئة ، وهو يصفق بكفيه فى بطء ، قبل أن يضيف فى ثقة ، وبلا مبالاة كاملة :

ـ نشاط جسدى مدهش بحق ، بالنسبة لرجل عاد إلى وعيه منذ ساعات قليلة ، بعد غيبوبة عميقة .

رصدت عينا (نور) جهاز الفحص العقلى أوّلاً ، قبل أن يصوب مسدسه إلى رأس الدكتور (سمير) ، قائلاً فى صرامة :

ـ ألم يحن الوقت بعد ؛ لتنزع عنك هذا القناع الزائف ، وترينا وجهك الحقيقى .

ابتسم الرجل فى سخرية ، قائلاً :

ـ وما الذى تتوقع رؤيته عندما أفعل ؟! بشرة خضراء ، وهوائى على الرأس ؟!

قال (نور) صارمًا :

ـ أخبرنا أنت ما الذى نتوقع رؤيته ؟!

هزّ الرجل كتفيه فى لا مبالاة ، قائلاً :

ـ وجه بشرى .

اندفع (رمزى) يقول فى انفعال :

ـ من ماضينا السحيق .

نجحت العبارة فى جذب انتباه الرجل بشدة ، وهو يعتدل ، متسائلاً فى اهتمام بالغ :

ـ من ماضيكم السحيق ؟! ما الذى يعنيه هذا ؟!

بدا شغوفًا بالمعرفة بالفعل ، حتى إن (نور) قد عقد حاجبيه فى توتر ، فى حين أجاب (رمزى) بنفس انفعاله :

ـ هكذا أكد الفحص الشامل المقارن ، لأنسجتك وحمضك النووى .. لقد تشابه كثيرًا ، مع أنسجة إنسان الجليد ، الذى عثر عليه فى ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لاحظ أن الرجل يستمع فى شغف حقيقى ، فغمغم الدكتور (سمير) فى اهتمام :

ـ ماضيكم السحيق ؟! أمن الممكن أن ...

بتر عبارته بدوره ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يعتدل ، قائلاً بمنتهى الصرامة :

ـ أشكركم على منحى طرف الخيط .. هذا سيصنع فارقًا كبيرًا بالفعل ..

ثم قسا صوته بشدة ، وهو يضيف :

ـ بعد أن أزيحكما عن طريقى ..

لم تكن عبارته قد اكتملت ، عندما هتف (نور) فجأة :

ـ الآن يا (رمزى) .

وبوثبة مفاجئة ، انقض (رمزى) على الدكتور (سمير) ، الذى استدار إليه بكيانه كله ، قائلاً فى غضب :

ـ يا للسخافة !

ومع قوله ، شعر (رمزى) بلطمة قوية على عقله عكست انقضاضته فى عنف ..

وبكل القوة ، تراجع جسده عبر باب الحجرة ..

ثم سقط أرضًا ..

وعندما استدار الدكتور (سمير) ، ليواجه (نور) ، فوجئ بأن هذا الأخير قد وضع الجهاز على رأسه بالفعل ، وهو يضغط زر تشغيله ، قائلاً :

ـ خدعة قديمة ناجحة يا هذا .

صاح الدكتور (سمير) ، وهو يرفع يده نحوه :

ـ لا .. إياك أن ...

ولم يسمع (نور) باقى العبارة ..

ولم يسمعه ؛ لأنه شعر بذلك التدفق العقلى الرهيب يضرب دماغه ..

بمنتهى العنف ..

ثم انطلق عقله ..

انطلق بعنـف يفـوق عنـف انطـلاقته الأولى بمرتين علـى الأقل ..

هذا لأن الدكتور (سمير) لم يترك الجهاز كما هو ..

لقد أجرى عليه تعديلاً ..

تعديلاً جوهريًّا .

وقاتلاً ..

★ ★ ★

٧ ـ وثبـــــة ..

علـى عكس المرة السـابقة ، لـم يطلـق (نـور) صرخـة واحدة ..

فجأة ، وجد نفسه فى ذلك الفراغ الهائل ..

وفجأة أيضًـا ، ظهر (محمـود) أمامـه ، وهـو يقـول فـى قلق :

ـ انطلاقتك كانت عنيفة هذه المرة يا (نور) .

غمغم (نور) :

ـ ولكـن مـن الـواضـح أنهـا قادتنى إلـى المكـان نفسـه يا صديقى .

هزّ (محمود) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ هذا ليس مكانًا يا (نور) .. إنه نقطة اتصال فحسب .

تساءل (نور) :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابه فى اهتمام :

ـ عقلك ما زال ينطلق فى مساره يا (نور) ، عبر الفضاء والزمان والمكان ، ولكن انطلاقته هذه تسمح لى بإجراء اتصال مباشر معك فحسب .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتمتم :

ـ أتعنى أننا لسنا هنا فعليًا ؟!

أشار (محمود) إلى رأسه ، مجيبًا :

ـ إننا هنا يا صديقى .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ فهمت .

ثم تساءل فى قلق :

ـ ولكن أيعنى هذا أننى فى غيبوبة عميقة ، أمام ذلك الوغد ؟!

ابتسم (محمود) ، قائلاً :

ـ المشكلة أنه ليس وغدًا يا صديقى .. إنه رجل أمن مثلك ، فى مهمة رسمية ، من أجل عالمه .

قال (نور) :

ـ ولكنه هاجم الجميع ..

قال (محمود) فى هدوء :

ـ كنتم تهددون مهمته بالفشل .

تساءل (نور) بمنتهى الاهتمام :

ـ وما مهمته بالضبط ؟!

عقد (محمود) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

ـ ولماذا لا تعرف بنفسك ؟!

سأله (نور) :

ـ وكيف هذا ، وعقلى ينطلق بعيدًا ؟!

هزّ (محمود) كتفيه ، قائلاً :

ـ أنت تتمتع بإرادة قوية يا (نور) ، ولو أردت ، لأمكنك العودة بعقلك وقتما تشاء ، إلى أية نقطة تريدها .. حتى عقل خصمك نفسه .

تساءل (نور) فى لهفة :

قال (محمود) فى هدوء :

ـ بل يمكنك ما هو أكثر من هذا يا (نور) .

سأله (نور) بكل اهتمام :

ـ وما هو ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، قبل أن يسأله :

ـ هل سمعت عن الذاكرة الوراثية التراكمية يا (نور) ؟!

غمغم (نور) فى حذر :

ـ وما هى ؟!

أجابه (محمود) :

ـ إنها نظرية علمية ، تقول إننا نرث ذاكرة آبائنا وأجدادنا مع جيناتنا ، وأن أمخاخنا تحوى بالفعل تاريخنا كله ، على نحو وراثى متراكم ، فأنت تورث ذاكرتك لابنك ، وهو يورث ذاكرته لابنه ، وهكذا(*) .

تساءل (نور) فى حيرة :

ـ وبِمَ يمكن أن يفيد هذا ؟!

أجابه (محمود) :

ـ مشكلة الذاكرة التراكمية ، هى أننا لا نعيها بعقولنا ، على الرغم من وجودها داخل أمخاخنا .. الأمر يحتاج دومًا إلى محفز لاستعادتها ، وكثيرًا ما تنطلق شذرات منها ، دون وعى منا .. كأن يتحدث شخص أمامك بلغة تجهلها ، ولكنك تجد نفسك قد فهمت ما يعنيه ، على الرغم من أنك لم تدرس تلك اللغة أبدًا ، أو أن يستعيد المرء فجأة لمحة من ذكريات أحد أجداده ، ويبهر من حوله ، فيتصورون أنها عملية تناسخ أرواح .

(★) نظرية علمية بالفعل .

تساءل (نور) فى توتر :

ـ أمن الضرورى أن أستمع إلى هذه المقدمة الطويلة ؟!

ابتسم (محمود) ، وهو يقول :

ـ وماذا فى هذا ؟!

أجابه بكل توتره :

ـ الوقت يمضى بسرعة يا صديقى ، وأخشى أن نخسر فرصتنا فى إيقاف ذلك المخلوق ، لو أضعنا المزيد من الوقت .

اتسعت ابتسامة (محمود) ، وهو يقول :

ـ هنا الزمن يساوى صفرًا يا صديقى العزيز ، ومهما قلنا أو تحدثنا ، لن تفقد ثانية واحدة ، من زمن الأرض .

كان أمرًا يعجز أى إنسان عادى عن استيعابه ، ولكن (نور) استوعبه فورًا ، وهو يسأل :

ـ فى هذه الحالة ، أريد أن أعرف المزيد .

قال (محمود) :

ـ لم يعد هناك الكثير يا (نور) ؛ فخصمك يجهل ما الذى تحويه ذاكرته التراكمية ، من تاريخ أجداده ، ولكنك تستطيع ، بما تمتلك من طاقة عقلية فائقة الآن ، أن تغوص فى أعمق أعماق دماغه ، وفى غياهب تاريخه ، و ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأضاف :

ـ وأظن هذا سيحل كل شىء .

صمت (نور) بضع لحظات ، ثم قال فى ارتياح واضح :

ـ أشكرك يا صديقى .

ابتسم (محمود) ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

ـ لا عليك يا صديقى .. إنها أسعد لحظات حياتى ، تلك التى أشعر فيها أننى قد عدت عضوًا فعالاً فى الفريق ..

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ قريبًا بإذن الله يا صديقى .. قريبًا .

مع آخر كلماته ، استنفر إرادته كلها ..

وقدراته العقلية بكاملها ..

وانطلق ..

انطلق بعقله عائدًا إلى كوكبه ..

ووطنه ..

ومركز الأبحاث ..

وحجرة الدكتور (سمير) ..

وعقله ..

شعور عجيب ملأ كيانه ، وهو يغوص فى ذلك العقل ..

ويغوص ..

ويغوص ..

ويغوص ..

ثم فجأة ، ظهرت أمامه الصورة واضحة ..

« نيزك ضخم يتجه نحو كوكبنا مباشرة .. »

عبارة نطقها شخص ما ، بلغة غير معروفة على الأرض ..

ولكن (نور) فهمها ..

واستوعبها جيدًا ..

كان هناك اجتماع متوتر ..

اجتماع لبحث ذلك الخطر الرهيب ..

الخطر القادم من أعماق الفضاء ..

« لا توجد وسيلة واحدة لمنع الاصطدام .. »

نطق أحد الرجال بالعبارة ، فقال آخر فى توتر :

ـ وما مصير كوكبنا ، إذا ما حدث هذا ؟!

توقف الأوّل ، والتقط نفسًا عميقًا ، بالغ التوتـر ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ـ الفنـاء .

شحبت وجوه المجتمعين ، حول مائدة زجاجية كبيرة ، فكرّر الرجل ، وكأنما يؤكد عبارته الأولى :

ـ الفناء التام .

خيم وجوم تام على الجميع ، حول تلك المائدة الزجاجية ، وتبادلوا نظرات مذعورة ..

مختنقة ..

بائسة ..

يائسة ..

نظرات تحمل مقدمات فناء محتمل ..

ولدقيقة تقريبًا ، ظل الكل صامتًا ، قبل أن يقطع أحدهم ذلك الصمت ، وهو يتساءل فى مرارة :

ـ أيعنى هذا أن حضارتنا تشهد أيامها الأخيرة ؟!

أومأ المتحدث برأسه إيجابًا ، قبل أن يشد قامته ، مضيفًا فى حزم :

ـ هذا صحيح .

وقبل أن يغمر اليأس الوجوه ، استدرك فى سرعة :

ـ على كوكبنا .

ارتفعت إليه العيون كلها فى لهفة ، فاعتدل ، مكملاً :

ـ لو لم ننفذ خطة الطوارئ (أ) .

هتف أحدهم ، وقد بدأ الأمل يداعبه :

ـ وما خطة الطوارئ (أ) هذه ؟!

أدار المتحدث عينيه فى وجوههم ، مجيبًا :

ـ إنها خطة سرية للغاية ، تم وضعها منذ بضع سنوات ؛ لإنقاذ طاقم الحكم ، إذا ما حدث غزو فضائى مباغت ، أو انتشر وباء غير متوقَّع .

حملت العيون ألف تساؤل وتساؤل ، عجزت الألسن عن نطقها ، ففرقع المتحدث سبابته وإبهامه ، لتظلم حجرة الاجتماعات ، ثم يظهر فى منتصف المائدة شكل هولوجرامى ، لسفينة فضاء ضخمة ، تدور حول نفسها فى بطء ، وكأنما تستعرض إمكانياتها أمام الجميع ، والمتحدث يقول :

ـ منذ عدة سنوات ، تم بناء هذه السفينة الفضائية ، التى تتسع لمائة راكب ، مع أجهزة إعاشة شديدة التطور ، وإمكانيات رقمية من الطراز الأول ، وهدفها هو إنقاذ مائة فرد ، من أفضل عناصر كوكبنا ، لحماية حضارتنا من الفناء ، فى أوقات الخطر الكبرى .. وهناك برنامج يتم تحديثه آليًا كل يوم ؛

لاختيار الشخصيات المائة ، التى ينبغى نقلها عبر ما أسميناه ، خطة الطوارئ (أ) ، أو مشروع إنقاذ الحضارة .

غمغم أحد الحاضرين :

ـ وما الذى ستفعله السفينة بركابها المائة بالضبط ؟

فرقع المتحدث سبابته وإبهامه مرة أخرى ، فتلاشت الصورة ثلاثية الأبعاد ، وظهرت بدلاً منها خريطة فضائية مجسمة ، وهو يجيب :

ـ علماؤنا يدرسون الكون ، منذ مئات السنين ، ولقد توصلوا أخيرًا إلى سبعة كواكب ، شبيهة بكوكبنا ، ويمكننا العيش على أى منها ، دون الحاجة إلى أدوات معاونة ، أو وسائل إعاشة معقدة .. ولقد قام العلماء بدراسة الظروف الخاصة بكل كوكب ، حتى وقع الاختيار أخيرًا على واحد منها ، منحناه اسم (البديل) .. وعندما يوضع المختارون داخل السفينة ، سيتم إدخالهم فى حالة من السبات الصناعى مع أسرهم ، حتى يمكنهم احتمال الرحلة ، التى قد تستغرق ألف عام ، مع انطلاقة تقترب من سرعة الضوء ، قبل الوصول إلى (البديل) .

تمتم رجل ، بأنفاس مبهورة :

ـ ألف عام ؟! حتى فى حالة السبات الصناعى ، لا يمكن أن نحيا لألف عام .

وهتف آخر :

ـ ثم من سيقود السفينة .

أجاب المتحدث فى صرامة :

ـ السفينة تتم قيادتها آليًا ، وفق برنامج شديد الدقة ، أما بالنسبة لحياتكم ، فالحالة التى سيتم وضعكم فيها ، أشبه بالتجميد ، الذى سيحفظ لأنسجتكم حيويتها ، حتى ولو طال الأمر لألفى عام ، وليس ألفًا واحدًا .

هزّ ثالث رأسه ، قائلاً فى عصبية :

ـ ما زلت أرى أن احتمالات الخطر قائمة .

استدار إليه المتحدث ، وهو يقول :

ـ لكم حرية الاختيار التامة بالتأكيد ؛ فإما الانطلاق فى رحلة فضائية ، على قدر كبير من الخطورة ، أو البقاء هنا ؛ لمواجهة موت لا ريب فيه .

تبادل الكل نظرة ملتاعة ، وخيم عليهم صمت أشد رهبة ، قبل أن يتساءل أحدهم فى مرارة :

ـ وما معايير اختيار المائة ؟!

شد المتحدث قامته ، وهو يجيب :

ـ أعضاء مجلس الحكم وأسرهم فى المقدمة ، وبعدهم يأتى علماء فى مجالات حيوية مع أسرهم ؛ لبناء مجتمع جديد ، على الكوكب (البديل) ، بعد الهبوط عليه ، ولقد تم صنع المركبة الفضائية ، بحيث يمكن تفكيكها ، وتحويلها إلى مجموعة من المنازل الصغيرة ، كنواة لمجتمع جديد ، و ...

تلاشى المشهد بسرعة ، قبل أن يكتمل ..

ثم برز من وسطه مشهد آخر ..

مشهد سفينة الفضاء الهائلة ، وهى تنطلق من كوكب الأرض ..

ثم مشهد ذلك النيزك ..

النيزك الضخم ، الذى هوى على الأرض ..

وانفجر ..

ثم انتشر ..

وانتشر ..

وانتشر ..

حتى أفنى الحياة على الأرض ..

كل أوجه الحياة ..

النبات ..

والحيوان ..

والديناصورات ..

والبشر ..

تقريبًا ..

وبينما تبتعد السفينة ، فى غياهب الفضاء ، كانت النيران على الأرض تنتشر ..

وتفنى ..

وتبيد ..

والسفينة تبتعد ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وبسرعة ، تلاشى المشهد كله ..

ثم برز مشهد آخر ..

مشهد سفينة الفضاء ، مستقرة على (البديل) ، والمائة المختارون يستيقظون ..

وينهضون ..

ويدركون أن الخطة قد نجحت ..

وأن الحضارة قد استمرت ..

وفى مشاهد متفرقة ، ظهر المائة ، وهم يفككون السفينة ..

ويبنون مجتمعهم الجديد ..

ثم تمضى سنوات ..

وسنوات ..

وقرون ..

وبعدها امتدت مدينـة عظيمـة على مرمى البصر ، تحت سماء (البديل) ..

مدينة صنعت حضارة رائعة ..

حضارة بدأت من حيث انتهت حضارة أخرى ..

وفجأة انطلقت شهقة ..

وصرخة ..

شهقة من حلق (نور) ..

وصرخة من حلق (سويز) ..

ثم شعر (نور) أن عقله ينسحب ..

وينسحب ..

وينحسب ..

فى قوة هائلة ..

وبلا مقدمات ، وجد نفسه يقف أمام الدكتور (سمير) ، الذى يحدق فيه بذهول مذعور ..

ولدقائق ، لم ينطق أيهما بحرف واحد ..

كلاهما راح يحدق فى الآخر ذاهلاً ..

ثم اختفت ملامح الدكتور (سمير) ..

اختفت لتحل محلها ملامح أخرى ..

ملامح بشرية ..

قوية ..

ووسيمة ..

وبكل انفعال الدنيا ، تمتم (سويز) :

ـ إذن فأنتم .. أنتم مستقبلنا .

غمغم (نور) مبهوتًا :

ـ وأنتم ماضينا .

ويا لها من مفارقة ، شهدتها تلك اللحظة الفريدة ..

فالقادم من كوكب أكثر تقدمًا ، كان يمثل ماضى الكوكب الأقل تقدمًا ..

وسكان الكوكب الأكثر ضعفًا ، كانوا مستقبل أجداد الكوكب الأكثر قوة .. وكانت لحظة رهيبة ..

لحظة تساوى التاريخ ..

التاريخ كله .

٨ ـ الختام ..

تراجع القائد فى مقعده الكبير فى اهتمام بالغ ، وهو يستمع إلى مسئول الاتصالات العقلية ، الذى يسرد عليه تقرير (سويز) الأخير ، قبل أن يقول :

ـ عجبًا ! هذا يكمل لغز تاريخنا إذن .. ويفسّر ذلك التشابه بيننا وبينهم .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ إنهم أجدادنا .

قال المسئول فى قلق :

ـ ولكن هذا غير منطقى أيها القائد ؛ فوفقًا لما أرسله عميلنا عقليًا ، فنت الحياة تمامًا على الأرض ، بعد أن هجرها الأجداد .

هزّ القائد رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ علمنا الأجداد أن الحياة دائمًا ما تجد سبيلاً للاستمرار .. ربما نجا بعضهم فى كهف ما ، أو مكان ما .. المهم أن الحياة قد استمرت ، ليتواصل الأجداد ، ويعيدون بناء عالمهم من الصفر .

مطَّ مسئول الاتصالات شفتيه ، وكأنما لا يقنعه هذا المنطق ، ثم قال فى حذر :

ـ هذا لا يمنع من أنهم يمثلون خطرًا بالنسبة لنا .

سأله القائد فى اهتمام :

ـ أتظن هذا ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ إنهم يمثلون خطرًا على بعضهم فماذا عنا .

التقط القائد نفسًا عميقًا آخر ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، وهو يقول :

ـ فليكن .

ثم اعتدل ، مضيفًا فى حزم :

ـ أجر اتصالاً مع (سويز) ، وأبلغه تعليماتى .

وصمت لحظة أخرى ، ليكمل :

ـ وقواعد مهمته الجديدة .

وأرهف مسئول الاتصالات أذنيه ..

بكل الاهتمام ..

وكل الانتباه ..

* * *

« كل شىء سيتم إصلاحه يا (نور) .. »

نطق (سويز) العبارة ، فى لهجة أقرب إلى الأسف ، وهو يواجه (نور) ، فى مقر الفريق ، داخل المبنى الرئيسى للمخابرات العلمية ، فاعتدل هذا الأخير ، يسأله فى اهتمام :

ـ ربما يمكنك معاونتنا ، فى إعادة بناء كل ما دمرته ، فى وسائل أمننا ، ولكن ماذا عن رفاقى ؟! ماذا عن زوجتى ، وابنتى ، و(أكرم) ، و(رمزى) ، والسيِّد (أمجد) .

تنهَّد (سويز) ، قائلاً :

ـ لا تقلق .. كل شىء سيتم إصلاحه .. عالمى سيرسل فريقًا من الأطباء ، مع تكنولوجيتنا العلاجية المتطورة ، وسيعودون جميعًا إلى ما كانوا عليه بإذن الله .

أطلت نظرة شك من عينى (نور) ، فابتسم (سويز) معاتبًا ، وهو يقول :

ـ أعلم ما يمكن أن يدور فى عقل رجل أمن مثلك ، ولكن اطمئن ، وخذها منى كلمة .. نحن لا ننوى خداعكم ، بأى حال من الأحوال .. إنه فريق طبى حقيقى ، وليسوا من الكوماندوز المتخفين .

غمغم (نور) :

ـ أتعشم هذا !

ابتسم (سويز) ، مغمغمًا :

ـ اطمئن .

أومأ (نور) برأسه ، وكأنما يحاول هضم الأمر ، وهو يتساءل فى حذر شديد :

ـ وماذا عنك ؟!

أجابه (سويز) فى سرعة وحزم :

ـ سأبقى .

لمح ذلك القلق الشديد ، الذى أطلّ من عينى (نور) ، فضحك ، قائلاً :

ـ سأبقى باعتبارى سفيرًا رسميًّا لكوكبى هنا يا (نور) ، ومهمتى الجديدة هى إذابة الجليد بين الماضى والمستقبل ،

ومعاونتكم على التطوّر ، والتفوق ، وبناء عالم جديد .. عالم مختلف .. عالم يمكننا أن نتلاقى فيه ، فى سلام وأمان .

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يتطلّع إليه مباشرة ، قبل أن يسأله على نحو صريح :

ـ هل يمكننا أن نثق بكم ؟!

ابتسم (سويز) ، قائلاً :

ـ وهل يمكننا نحن أن نفعل ؟!

لم يحر (نور) جوابًا ، فشد (سويز) قامته ، وقال ، وكأنه يجيب سؤاله بنفسه :

ـ نحن ماضيكم يا (نور) ، وأنتم مستقبلنا وما من عاقل يتخلى عن ماضيه ، أو يحارب مستقبله ..

قالها ، وعاد يبتسم ، ويمد يده إليه ، مضيفًا :

ـ اطمئن .

وفى هذه المرة لم يتردد (نور) ..

لقد مد يده بدوره ..

وتصافحا ..

تصافحا ؛ لضم الماضى إلى المستقبل ، والانطلاق بهما معًا إلى آفاق جديدة ..

آفاق بلا حدود ..

* * *

(تمت بحمد الله)